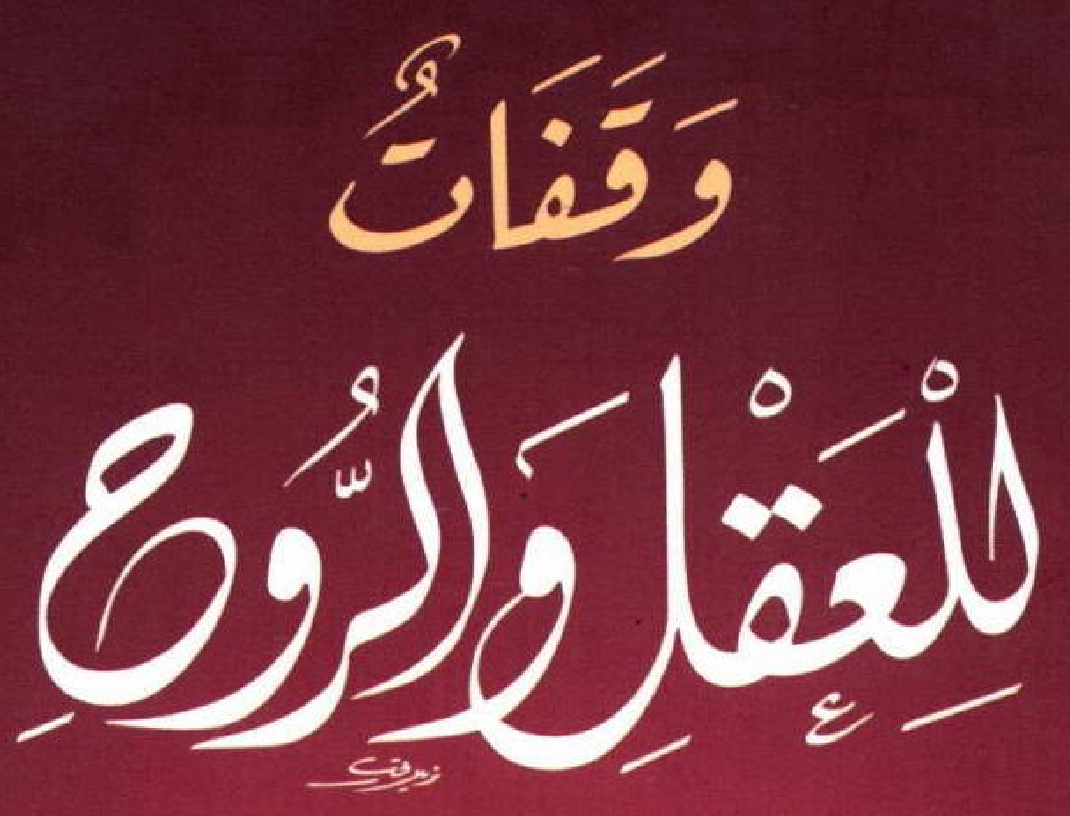


الجزء الثاني

أ. د. عبد الكريم بكار

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



تأليف

أ. د. عبد الكريم بكّار

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

بكار ، عبد الكريم.
وقفات للعقل والروح / تأليف عبد الكريم بكار . - ط ١ .- [القاهرة] : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، [٢٠١٢م] .
٢ مج ؛ ٢٠سم .
تدمك ٩ ٠٢٩ ٢١٤ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - المقالات العربية .
أ - العنوان .
٨١٤

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

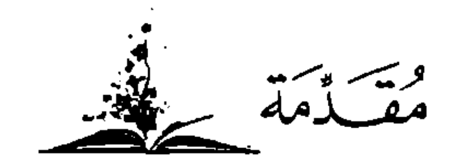
تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرع من شارع نور الدين بهجت - الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +)
فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
فاكس : ٢٢٦٣٩٨٦١ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

* * *



الحمد للَّه رب العالمين حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه هي المجموعة الثانية من الرسائل الأسبوعية التي تعودت كتابتها منذ نحو ثلاث سنوات، وقد نُشرت المجموعة الأولى قبل ثمانية أشهر تقريبًا، ونفدت نسخها بحمد اللَّه تعالى، وتمت طباعتها طبعة ثانية مؤخرًا، مما شجعني على اختيار هذه المجموعة ودفعها إلى الطباعة، والحقيقة أن ما يُنشر على (النت) يُقرأ من قبل أعداد كبيرة من الناس، لكن هناك أعدادًا كبيرة أيضًا لا تدخل (على النت) وأعدادًا أخرى ما زالت متعلقة بالكتاب المطبوع والذي يستطيعون لمسه بأيديهم، وهذا كله يملي على أن أتمسك بالنشر الورقي.

هذه الرسائل كُتبت في أوقات مختلفة، ولهذا فإن بعض المعاني التي تتعلق بقضية ومشكلة واحدة قد تتكرر في أكثر من موضع، فأرجو المعذرة، لكن عليّ أيضًا أن أقول: إن ما هو مهم وملحّ يفرض نفسه على تفكيرنا واهتماماتنا، فنكرره من حيث لا نشعر.

سيلاحظ القارئ أنني قد ركَّزت في هذه الرسائل على

الجانب الروحي والقيمي، وهذا مقصود قصدًا؛ لأنني أعتقد أن هذا الجانب من شخصياتنا وحياتنا العامة هو أكثر الجوانب تضررًا في العصر الحاضر.

وقد اعتمدت أسلوب التبسيط قدر الإمكان لتكون هذه الرسائل في متناول استيعاب أوسع شريحة ممكنة من القراء.

في الختام أجد لزامًا عليَّ أن أقدم شكري للابن البار والتقني اللامع محمد بن عبد الناصر حاكمي لتفضله بالعناية بهذه الرسائل والمداومة على إرسالها للمشتركين مهما كانت مشاغله. أسأل اللَّه له المعونة والتوفيق. والحمد للَّه رب العالمين.

أ.د. عَبْدالكَرِيم بَكَّار

في ٢٧/ ١١/ ١٤٣٢هـ

* * *

١
مكافأة الكرام

قال الراوي:

كان أحدهم مسافرًا بأسرته في صحراء مترامية الأطراف، وإذا بعطل مفاجئ يحدث في سيارته، وقد حاول تشغيلها لكن دون جدوى، وجلس الرجل حائرًا في أمره، ولم يمض وقت طويل حتى أوقف أحدهم سيارته، وترجَّل منها قائلًا: خيرًا ما الذي حدث؟ وحاول معه مرة أخرى في تشغيل السيارة... ثم قال للرجل : هذه سيارتي أَكْمل سفرك فيها مع أسرتك، وأنا أجلس هنا عند سيارتك حتى ترسل لي (سطحة)من بلدك نحمل عليها سيارتك.

قال صاحبنا: هذا غير معقول؛ لأنه يعني أنك ستجلس هنا قرابة عشر ساعات.

قال الرجل: لا بأس أنا شخص، وأنتم عائلة!. وأخذ صاحبنا سيارة الرجل الشهم ورقم هاتف منزله، ومضى، وفي صباح اليوم التالي وضع سيارته في ورشة الإصلاح، وأعاد السيارة الأخرى إلى صاحبها.

ومرَّت الأيام، وتذكر صاحب السيارة المعطوبة المعروفَ الذي صنعه معه صاحبه، فاتصل على بيته ليسأل عنه، فقالت

زوجته: هو في السجن، وذكرت له اسم السجن، وفهم منها أنه سُجن بسبب الديون التي عليه.

وفي اليوم التالي أخذ الرجل معه مائة ألف ريال، وذهب إلى السجن وأعطاها لضابط السجن، وقال: هذه لقضاء ديون فلان وإخراجه من عندكم، قال الضابط: من أنت؟ قال له: لا داعي لِأَن أذكر لك اسمي، ومضى...

بعد عشرين يومًا اتصل ببيت صاحبه ليطمئن عليه، فقالت له زوجته: ما زال في السجن، فما كان منه إلا أن سارع إلى السجن، وسأل الضابط عن سبب عدم إطلاق سراح صاحبه، فقال: الدين الذي عليه ثلاثة ملايين وليس مائة ألف، ثم أردف قائلًا: أنا حائر في أمري ممن أتعجب، هل أتعجب منك حين جئت بمائة ألف ريال دون أن تذكر اسمك؟ أو أتعجب من صاحبك السجين حين قال لي : المائة ألف لن تصنع لي شيئًا، فأرجو أن تطلق بها سراح بعض زملائي المسجونين ممن عليه خمسة آلاف وعشرة آلاف، وقد أطلقت بها فعلًا اثني عشر سجينًا !!

قال صاحبنا: خيرًا إن شاء اللَّه وغاب قرابة شهر، ثم عاد وقد جمع الملايين الثلاثة من مدخراته ومن بعض المحسنين، وأطلق بها سراح صاحب المروءة.

هذه القصة واحدة من قصص كثيرة يتحدث عنها الناس، وهي دليل على أن البذل في سبيل اللَّه، وعون الآخرين

لا يذهب هباءً، بل إن جزاءه كثيرًا ما يكون سريعًا جدًّا، وبأضعاف مضاعفة، ولا غرابة في هذا، فالمتصدق يتعامل مع من اتصف بالرحمة والكرم والغنى، وهو ﷻ تعهد في كتابه وعلى لسان نبيِّه بأن يخلف على الباذلين من أجله.

* * *

٢

ابن البحر

لم يخطر في بالي في يوم من الأيام أن أشبِّه الإسلام بالسمك، وأن أشبِّه الحرية بالبحر، حتى تأملتُ مطولًا فيما يُحدِثه القسر والإكراه، والتسلط من تشويه للإدراك وقتل للمعنى العميق للحياة.السمك قنوعٌ جدًّا، فهو لا يريد من الآخرين سوى أن يتركوه حرًّا طليقًا في البيئة الطبيعية التي أوجده البارئ - جل شأنه - فيها.

السمك قادر بجهده الشخصي على كسب رزقه وحماية نفسه وتكاثر نوعه، ومن الأهوال التي يواجهها في أعماق البحار يصبح أكثر قوة على الاستمرار في دورة الحياة وحين نضعه في حوض من أحواض الزينة نَحْرِمُه من الكثير من الأشياء حيث تصبح حياته فقيرة وكئيبة....

هكذا الإسلام بيئته الطبيعية هي (الحرية) فهو على المستوى المنطقي قادر على المجادلة عن قيمه ومبادئه وأحكامه، وهو على المستوى الروحي يملك القوة الذاتية التي تساعده على استمرار الانتشار في الأرض، وهو لا يطلب إلا أن يُتاح للناس التعرف عليه ليؤثِّر في حياتهم، بل يحوِّل مجراها، ويجعل لها معنى... المحاربة للإسلام حين تكون في حدود الجدال الثقافي، وحين تكون مقيّدة

بشرف المخاصمة لا تضر الإسلام، وإنما تستثير مكامن قوته وتصقله، وتساعده على تجديد أدواته، ومن وجهٍ آخر فإن الإسلام يعتمد في عمله على ما لديه من جاذبية، وإن إكراه الناس على تبنِّيه يسيء إليه، وينفِّر الناس منه، ويدفع بالناس إلى أن يسلكوا مسالك النفاق والرياء.

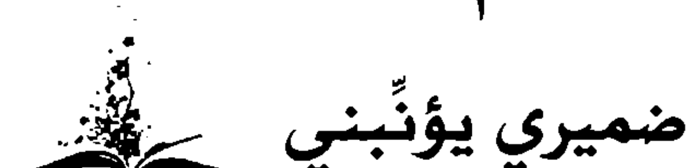
وقد ذكر بعض علماء السيرة أن النفاق نَجمَ في المدينة بعد غزوة بدر؛ حيث صار للإسلام منعة وشوكة، وصار لدى المسلمين العصا والجزرة...

وإن مما يلفت الانتباه أن قوله - تعالى - ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] جاء مباشرة بعد (آية الكرسي) التي حوتْ الكثير من صفات العظمة ودلائل القدرة للحي القيوم، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن عظمة حق اللَّه ﷻ على عباده، وعظمة المنهج الذي أنزله لا تقتضي حمل الناس على العبودية والامتثال، إذ إن ممارسة الناس لحرياتهم نحو هذا تُعدُّ من تمام الابتلاء.

* * *

٣

ضميري يؤنِّبني



قدم أحد الشباب المسلم من أوربا إلى إحدى الدول العربية زائرًا لبعض أقربائه، وقد طلب منهم أن يرشدوه إلى متجر يشتري منه بعض أفلام الكرتون حتى يأخذها معه إلى بعض الأطفال هناك، وقد أرشدوه، واشترى ما أراد، وبعد الانصراف من المتجر قال لأحد أقربائه: أسعار الأفلام التي اشتَريتُها رخيصة للغاية، مع أن تكلفة إنتاجها - فيما أعلم - مرتفعة جدًّا! قال له قريبه: النسخ الأصلية منها غالية، والأفلام التي اشتريتها منسوخة، وسكت الشاب ومضيا في طريقهما، وبعد ساعة قال الشاب لقريبه: ضميري يؤنِّبني! قال قريبه: على ماذا؟ قال له: على شراء الأفلام المنسوخة، فهي في الحقيقة مسروقة أو مزورة، وشراؤها يعني التشجيع على المزيد من السرقة أو المشاركة في سرقتها بعبارة أدق.

ورجع الشاب إلى المتجر، وأرجعا الأفلام، وأرشدهما صاحب المتجر إلى متجر آخر يبيع النسخ الأصلية، واشترى الشاب ما يحتاجه منها، ولكن بخمسة أضعاف ثمن الأفلام المنسوخة.

هذا الموقف يشير إلى تعرض الشاب إلى تربية أخلاقية حرة وعالية، هذه التربية أوجدت في صدره شيئًا يَزِيُنه كما

تزين النجوم السماء، وهذا ما نسميه (الضمير) وهو صوت نوراني يجلجل في صدورنا حين نهمَّ بالوقوع في خطأ من الأخطاء.

لدى كل الناس استعداد فطري لأن يكون لهم ضمائر حية تأمر وتنهى، لكن التربية والبيئة هما اللتان تحدِّدان ماهية ذلك الضمير ودرجة يقظته. وكلما كان سلوكنا اليومي أشد استقامة تألَّقت ضمائرنا وانتشتْ، وصارت أشد حساسية، وحين نكرر الوقوع في خطأٍ مَا فإن مستقبِلات ذلك الخطأ في داخل ضمائرنا تذبل إلى حدِّ التلاشي، وحينئذ نخطئ ونخطئ ونحن مطمئنون لِمَا نفعل، وكأننا لا نرى أي عاقبة خطيرة لما نقوم به!

التربية الجيدة هي التي تزرع الضمير، والبيئة الصالحة تساعدنا على الاستجابة لنداءاته، والاستقامة على أمر اللَّه هي الماء الذي ترتوي منه ضمائرنا، ويا خسارة أصحاب الضمائر الظامئة الذين خسروا أنفسهم مع أنهم قد ملكوا الكثير الكثير!

* * *

٤

آباء وآباء

كنت أمْس في مجلس، فسمعت حكايتين متناقضتين كل التناقض لكنهما تعبران بوضوح عن نوعين من الآباء:

- نوع يعرف مسؤولياته التربوية، ويقوم بها على أحسن وجه.

- ونوع صار أبًا بالصدفة أو بالغلط، يسيء أكثر مما يحسن، ويخرِّب أكثر مما يعمِّر...

يقول راوي الحكاية الأولى: كنت جالسًا مع أفراد أسرتي في غرفة خاصة في مطعم مرموق في عاصمة عربية، وإذا بنا نسمع من الغرفة المجاورة صوت صحن أو كأس وقع على الأرض، والظاهر أنه انكسر، وإذا بنا نسمع أصوات ضربات متوالية وصوت طفل صغير يبكي ويشهق، فتأثرنا لهذا غاية التأثر إلى درجة أن بعض بناتي صِرْنَ يبكين تعاطفًا مع الطفل والأم المسكينة تحاول إسكات الصغير حتى لا تتطور الأمور إلى الأسوأ، وطلبت الأسرة الحساب بسرعة، وخرجت من المطعم، فإذا بنا بطفلة، عمرها أقل من ثلاث سنوات، أما الأب الذي بطش بها فقد كان فارع القامة ضخم الجثة.

وقد قال صاحب الحكاية الثانية: كنت أنا وزوجتي في منتزة في ماليزيا، وكان إلى جوارنا أسرة غربية لا أعرف من

أي بلد قدمت، وقد قام أحد أطفالها بتحريك الطاولة التي أمامهم، فأدى ذلك إلى كسر عدد من الصحون والكؤوس، فارتاع الطفل، وإذا بوالدة الطفل تحتضنه وتقبِّله، وتقول لمن حولها : لا عليكم هو بخير.

إن تربية الأبناء أشبه بالحرب، تحتاج إلى الرجل المِكِّيث الصبور، وإن كثيرًا من الآباء والأمهات يُقْدِمُونَ على الإنجاب دون أي أهلية أو استعداد، إنهم لا يملكون الثقافة التربوية التي تمكنهم من تربية أبنائهم على الوجه المطلوب، ولا يملكون من الخصائص النفسية ما يساعدهم على تحمل أعباء التربية، وهي أعباء كبيرة جدًّا.

إنهم يظنون أن واجبهم تجاه أبنائهم شبيه بواجب مُربي الماشية: حظيرة وعلف وماء، ولا شيء بعد ذلك! هؤلاء يقدمون للأمة جيلًا معوَّقًا ومشوَّهًا ذهنيًّا ونفسيًّا، ولو أن الواحد منهم أنجب طفلًا واحدًا لكان ذلك خيرًا لنا وله مِنْ أَنْ يُنجب اثنين أو خمسة، حيث أفادنا (حديث القصعة): أن مشكلة الأمة في آخر الزمان ليست مشكلة أعداد، وإنما مشكلة نوعية: « **أنتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل** ».

الجيل الذي لا يُربَّى ويُعَلَّم بالشكل المناسب يكون أشبه بجيش ضخم لم يُدرَّب، ولم يُسلَّح فأصبح نموذجًا للتآكل الداخلي وهدفًا سهلًا مكشوفًا للعدو.

* * *

٥
حياتنا المشتركة



خرجت إلى صلاة الفجر في صباح ذات يوم، وإذا بي أُفاجأ بمنظر غريب؛ حيث وجدت الساحة الواسعة التي يُطل عليها المسجد مملوءة بأكواب الماء وعلب العصير الفارغة ومملوءة بالورق الذي تُلفّ به الشطائر (الساندوتش) وقد أيقنت أن الذين كانوا في تلك الساحة ليلًا لا يَقِلُّون عن مائة، وقد يصلون إلى مائتين، وقد عجبتُ من ذلك أشد العجب: أليس هؤلاء من شباب المسلمين؟ ألم يسمعوا ما روي عن نبيهم ﷺ من أن إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وما ورد عنه من حثٍّ على النظافة والتجمُّل وصيانة المظهر العام من التبذل والفوضى والقذارة؟ ألم ينشأ أولئك الشباب في أُسر محترمة علَّمتهم كيف يحافظون على نظافة البيئة وعلى حسن التصرف ببقايا استعمالاتهم الشخصية؟!

أسئلة محيرة لم أجد لها جوابًا!

السؤال الأكبر من كل هذه الأسئلة هو: ألم يكن بين كل أولئك الشباب شخص واحد يقرِّب إليهم صندوق القمامة القريب منهم أصلًا حتى يضعوا فيه ما نثروه على الأرض؟! ألم يكن بينهم شخص واحد يقول لهم: توقفوا عما تفعلون؛

لأنه تصرف مخالف لآداب الشريعة، ومخالف للسلوك الاجتماعي الرشيد؟

المؤسف أن هذا وقع في ذكرى مناسبة وطنية عزيزة، كان المطلوب فيها القيام بحملات توعية وجهود ملموسة على الأرض من أجل حياتنا المشتركة ومن أجل الوطن الذي نتفيأ ظلاله، وننعم بخيراته!!

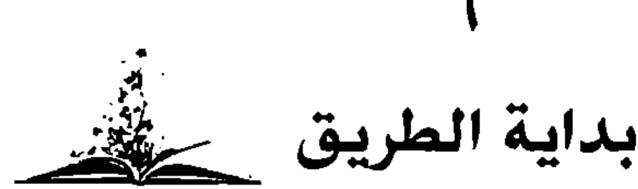
ليس هناك أوطان جيدة وأوطان سيئة، لكن هناك مواطنون جيدون يجعلون أوطانهم جيدة من خلال حرصهم على الخير ومحاصرة الشر وبناء المرافق العامة.

إن من مقاييس تقدم كل مجتمع حجمَ الشريحة الخيِّرة الموجودة فيه الشريحة التي تقدم النموذج، وتطلق المبادرات وتسد الثغرات، وتلك الشريحة هي زينة المجتمع، وهي ماؤه وهواؤه، وإن كل واحد منّا يستطيع أن يكون من أفرادها من خلال التفكير في المصلحة العامة، وتقديم مساهمة إيجابية صغيرة، ينتفع بها الناس في أمرٍ من أمور دينهم أو دنياهم.

من قطرات الماء يتكون جدول صغير، ومن مجموعة من الجداول يتشكل نهر عظيم يحيي اللَّه به العباد والبلاد، فإن استطعت أن تكون جدولًا فكن، وإن لم تستطع، فكن قطرة مطر بيضاء عذبة، وإذا لم تستطع فلا تعكر صفو الماء الذي تغرف منه براحتيك وتسقي منه أرضك.

* * *

٦



بداية الطريق

زرت إحدى الدول الأفريقية قبل مدة ليست بعيدة، وجلست بالقرب من نبع النيل، ورأيت الأرض وقد لبست حلة سندسية كما رأيت الأشجار وقد أثقلتها الثمار اللذيذة والمتنوعة، كما رأيت اعتدال المناخ، فلا حر ولا قر، ومع هذا فإن هناك من يحتاج إلى مائتي دولار؛ كي يقيم مشروعًا صغيرًا يُطعم منه عياله، فلا يجد وسمعت عن أسر كثيرة، مصدر رزقها الوحيد هو ما لديها من (دجاج) تربِّيه حتى تبيع بيضه، وهي تشتهي مع ذلك أن تتذوق البيض؛ لأن أكل القليل منه يعني حرمان الأسرة من شراء ما هو ضروري لبقائها!

كلام أشبه بالخيال، لكن هذا هو الواقع!

قد تتساءلون: لماذا يحدث هذا، وما أسبابه؟

الجواب باختصار:

هو أن بعض شعوب أفريقيا وآسيا مع أنها تعيش في القرن الحادي والعشرين، إلا أن أسلوب عيشها ومستوى فهمها للحياة ومعطيات زمانها متخلِّفة للغاية، بل قد لا يختلف ذلك لديها عما كان لدى أجدادها قبل ثلاثة قرون!!.

بين تلك الشعوب شعوب مسلمة، ولها علينا حقوق أُخوَّة الإسلام، ونحن نستطيع أن نساعدها لتعثرعلى بداية طريق

النهضة والخلاص من البؤس والجهل والأوهام والخرافات.

هم يحتاجون إلى المساعدة في الأمور التالية:

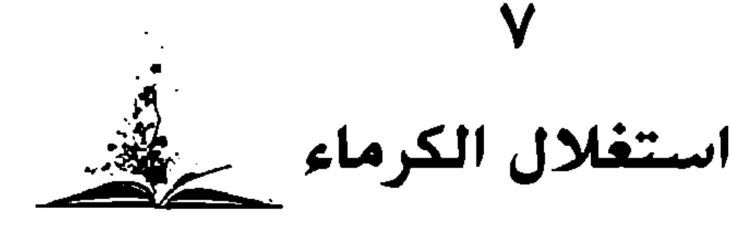
- تعلم العقيدة الإسلامية وأركان الإسلام وبعض الأحكام المتعلقة بالطهارة والصلاة والصيام، وما شاكل ذلك.

- لدى تلك الشعوب عدد قليل من الشباب المثقف والمتعلم، وهؤلاء يحتاجون إلى بعض الدورات التدريبية المتعلقة بتنمية الشخصية، والتفكير الإيجابي، ويحتاجون إلى الكثير من الكتب التي تساعدهم على فهم أنفسهم وفهم زمانهم، وقبل ذلك فهم المنهجية الإسلامية في العيش والنهضة.

- إن لدى تلك الشعوب الكثير من المواد الخام، والكثير من الإمكانات الزراعية، لكنها تحتاج إلى القليل من المال؛ كي تتحرك وتخرج من دوائر العجز والإحباط والارتباك، فالمال محور أساسي في أيِّ تحرك مهما كان نوعه، وأنا أقترح أن تخصص الجمعيات الخيرية والمؤسسات والمنظمات الإغاثية الإسلامية (٥٪) من وارداتها لتمويل المشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر في الدول الإسلامية الأشد فقرًا وتخلفًا، وعلى شباب الإسلام الراغبين في الأجر أن ينطلقوا في أرض الإسلام لإحياء العقول والنفوس ومساعدة البائسين من إخوانهم على الخروج من كهوف الظلمات التي وجدوا أنفسهم فيها.

هذا تحدٍّ عظيم، يمنحنا فرصًا لإنجاز أعمال عظيمة.

٧



استغلال الكرماء

يقول أحد الكرماء:

زارني أعرابيٌّ وأهدى إليّ شاة، فَقَبِلْتُ هديته، وأهديته ناقة، وبعد مدة زارني، وأهداني شاتين فأهديته ناقتين، ثم زارني مرة ثالثة ليلًا، وعند الصباح ذهب إلى حظيرة الإبل، وجعل يعدها!

نعم إنه يريد أن يعرف كم عددها حتى يهديه في مقابلها شياهًا، ويفوز بها، إنه استغلال جريء لكرم ذلك الجواد.

اليوم يحدث ما هو أسوأ من هذا من قِبَل بعض الرجال الذين لم يظفروا بمتانة الدين ولا بشهامة أهل المروءات، ذلك أن المرأة في نظر الشعوب أمينة على ثقافة الأمة، وهي جديرة بذلك، كما أن المرأة تملك طاقة هائلة على التضحية براحتها وكرامتها في سبيل استمرار الأسرة، ولا غرابة فهي أعظم معلم للحب غير المشروط، والمرأة بعد هذا أشد إخلاصًا للرجل وأكثر تعلقًا به، وهي مفطورة على الإخلاص لرجل واحد، ولهذا فإننا لو قارنّا بين خيانات الرجال لنسائهم وخيانات النساء لأزواجهن، فلربَّما كانت النسبة أقل من واحد إلى عشرة، هذا الإخلاص وهذه التضحية تشكل نقطة ضعف أساسية لدى المرأة في نظر

بعض الرجال، ولهذا فإنهم يستغلونها أسوأ استغلال حين يسيئون إلى زوجاتهم بألف طريقة وطريقة، هذا يهدد زوجته بالطلاق ما لم تعطه الكثير من مالها، وبعضهم يهجرها إلى غيرها إذا أمرته بمعروف أو نهته عن منكر، وبعضهم يؤذيها بأساليب مختلفة حتى تطلب الخلع، ويأخذ منها ما يريد..

ماذا أقول في هذه الوضعية التي لا تعبر إلا عن انحطاط الذات ولؤم الطباع؟! إن رسولنا ﷺ قد أوصانا بضعاف الأمة ولا سيما النساء والأيتام والأرقاء ومن في حكمهم من الخدم، لكن من المسلمين من لم يسمع بشيء من ذلك، أو لم ينتفع به أيَّ انتفاع! إن المرأة هي أخت الزوج في الإسلام، ومهما ساءت العلاقة بينهما فستظل أخته، وستظل لها حقوق أخوة الإسلام، وإن اللَّه - تعالى - يمهل للظالم، ويَمُدُّ له مدًّا؛ لكنْ إذا أَخذَ، أَخَذَ أَخْذَ عزيزٍ مُقتَدِر.

* * *

٨
أرواح هشَّة



كنت في المدينة المنورة قبل أيام قليلة، وصلَّيت المغرب في مسجد رسول اللَّه ﷺ، وكان في الصف الذي أمامي نحوٌ من عشرةٍ من الأطفال المنتسبين إلى إحدى حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وقد كان مدرسهم في العقد السابع من عمره، حيث أخذ على عاتقه جَعْلَهُمْ يقفون مستوين في صف الصلاة، وشرع الإمام في الصلاة وكبّر الأطفال تكبيرة الإحرام، لكن أستاذهم لم يفعل، فقد أدار ظهره إلى القبلة وجعل يأخذ بكتف فلان ويجذبه إليه، ويأخذ بكتف آخر ويدفعه إلى الخلف، ونظرًا لانهماكه في ذلك فقد علَّق عكازه المعكوف في عنق أحد الطلاب! ولما ركع الإمام دخل المدرس في الصلاة وركع معه، وهنا استغل الأطفال عدم تمكن أستاذهم من متابعتهم، فهاجوا وماجوا، وتدافعوا حتى كاد بعضهم يقع ذات اليمين وبعضهم ذات الشمال، وبعد انتهاء الصلاة حاول المعلم تحديد مصدر الشغب، وكالعادة لم يفلح في ذلك.

إني أروي لكم ما شاهدته أثناء الصلاة (لاتسألوا عن خشوعي في هذه الصلاة؟)!

أرواح الأطفال هشَّة، وهي تنفر من كل الأعمال الحرفية

والرتيبة، وإن مما لا نختلف فيه أن إقبال هذه الأعداد الضخمة من الأطفال على حفظ كتاب اللَّه - تعالى - وتجويده يُعدُّ من معالم الصحوة الإسلامية الحديثة، كما أننا لا نختلف في أهمية دعم جهود جمعيات تحفيظ القرآن الكريم في أعمالها الجليلة، لكنني أيضًا أدعو تلك الجمعيات وكل المشتغلين بخدمة الكتاب العزيز إلى التأمل في الأساليب المتبعة في تعليم الصغار، حيث إن الضغط عليهم ليحفظوا المزيد ومعاملتهم بقسوة أو بحرفية مبالغ فيها... يقتل روح الحماسة لديهم، ويجعل تفاعلهم مع توجيهات معلميهم ضعيفًا، إني أدعوهم جميعًا إلى تقويم الآثار التربوية في نفوس الأطفال، ومدى انعكاس المفاهيم والمعاني والمبادئ القرآنية على أخلاقهم وسلوكياتهم، وذلك لأننا نعتقد أن الأطفال سيَنْسَوْن الكثير مما حفظوه وسيبقى ما نالوه من تهذيب وتربية هو الشيء الأساسي في حياتهم.

إن من المهم دراسة ذلك وتطوير أساليب التحفيظ والتوجيه المتَّبعة والعمل على زيادة التدريب التعليمي والتربوي لكل العاملين في هذا الحقل العظيم. إن الواقع هو أستاذ الجميع، وفيه نقرأ ثمار كل جهودنا، وعلينا أن نتعلم منه الكثير الكثير، وإن علينا أن نرْمُق دائمًا المحصَّلات والنتاج، ونتفحَّص تحقق المقاصد.

❊ ❊ ❊

٩

هات من الآخر



« هات من الآخر » عبارة شائعة يستخدمها كثير من الناس، ولا سيما إخواننا المصريون، يُطلب بها اختصار الكلام، والكشف عما يحاول المتحدث إخفاءه أو تجاهله، وقد مضتْ مدة عليَّ وأنا أقول في نفسي: يا ليتنا نفهم النهايات ونحن ما نزال في البدايات، إذن لوَفَّرنا على أنفسنا الكثير من العناء ولتخلَّصنا من الكثير من الأوهام.. في مقابلة مع أحد أثرياء العرب سأل المذيعُ الثريَّ: هل متعة المليون الأول أكبر أو متعة المليار الأول؟ وكان الجواب: طبعًا المليون الأول متعته أكبر؛ لأن الإنسان حين يملك الملايين ينال ما يريد من المتع، والمليار قد لا يستطيع تأمين ملذات إضافية، هذا معنى كلامه، وقد صدق.

إذن هل نستطيع القول: إن الذين حصلوا على كل ما يرغبون فيه من المسرّات والكماليّات، ثم ما زالوا يركضون ركض الوحوش خلف المزيد من المال، إن هؤلاء يعيشون في وهم كبير، وإن ما يحصلون عليه سيكون ضئيلًا جدًّا بالنسبة إلى ما خسروه؟

إن جمع مزيد من المال إذا تمَّ بطرق غير مشروعة أو مشبوهة، فهو يعني خسارة مؤكَّدة وفائدة مظنونة

أو موهومة، وإذا كان يتم بطرق مشروعة، فينبغي ألا يكون على حساب إقبالنا على اللَّه - تعالى - وعلى حساب أُسَرِنَا وصلاتنا الاجتماعية.

المهم دائمًا أن نشعر بالنهايات ونحن ما نزال في البدايات، وحين يحدث ذلك فإنه يعني أننا نعرف تمامًا ما نريد، ونعرف ما الذي ينتظرنا، وإن من المؤسف جدًّا أن هناك أعدادًا لا تحصى من البشر وقعوا في فخٍّ كبير حين أضاعوا الشطر الأول من حياتهم في اشتهاء الشطر الثاني، وهؤلاء في الغالب سيقضون الشطر الثاني في التأسف على الشطر الأول!

آيات قرآنية كثيرة تعلِّمنا على نحو مباشر كيف نقف الموقف الصحيح في هذه المسألة حتى لا نندم حيث لا ينفع الندم.

لنتدبر القرآن، وبتدبره نتخلص من الرؤية العمشاء والحسابات الخاطئة.

* * *

١٠
أهل قناعة



نحن لا نشك أننا بني الإنسان لا نملُّ من جمع المال والاستحواذ على الخيرات، وكيف يكون ذلك ورسولنا ﷺ يقول: « **لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثًا** »[١].

لكن هناك شيئًا يلفت الانتباه، وهو أن معظم الناس يُظهرون درجة عالية من القناعة والرضا بأشياء هي أقل من القليل، وذلك حين تأتيهم من غير سعي ولا توقع، ومن شخص لا يعرفونه، أَوْ لا تربطهم به علاقة.

أحدهم تعوَّد أن يضع في جيبه شيئًا من (السكاكر) أو ما يسمى أحيانًا (المربى): سكاكر من الحجم الصغير جدًّا، لكن طعمه مميز، وتعوّد أن يتحف بحبةٍ منه بعض الداخلين معه إلى المسجد، كما أنه إذا رأى طفلًا في الشارع فإنه يضع في يده حبة، وحين يزوره أحفاده، فإنهم يطلبون منه (سكرة) والذين لم يتكلموا بَعْدُ يمدُّون أيديهم الصغيرة إلى الجيب التي تعوّد أن يخرج منها سكاكره ليمنحهم إياها.... كان صاحبنا يذهب إلى أحد الأماكن مرة في الأسبوع ليؤدي عملًا مدة ساعة، وقد عوَّد العاملين في ذلك المكان أن

(١) رواه البخاري ومسلم.

يتحفهم بشيء مما في جيبه، وقد صارحه أحدهم مرة قائلًا: أقبلتُ وأنا أحاول استحضار نية السلام عليك، لكن الرغبة في الحصول على حبة السكاكر كانت في الحقيقة تشكل الدافع الحقيقي للإقبال عليك، وجرت لصاحبنا طرائف في هذا الشأن ليس لديَّ وقتٌ الآن لاستعراضها، الخبرة العظيمة التي حصل عليها صاحبنا من وراء حبات السكاكر، هي أن لدى معظم الناس الكثير من النبل والكثير من الشعور بالامتنان، إنهم مستعدون للتجاوب مع من يلتفت إليهم، ومستعدون للاستبشار وإظهار الفرح وتقديم الشكر لكل من يقدم لهم شيئًا مجانيًّا مهما كان صغيرًا وعديم القيمة.

شيء عظيم ورائع أن نرسم ابتسامة على وجه مسلم بشيء قد لا يساوي أكثر من خمس هلَّلات، وشيء عظيم ورائع أن يكون دخولُك على أصحابك دائمًا متفردًا ومتميزًا ومبشِّرًا بشيء لذيذ وممتع، من غير أن تتكلف شيئًا يُذكر !

هل نتعلم من صاحب السكاكر هذا فن تحريك المشاعر الخاملة وفن بعث عواطف التحابب والتآخي وتبادل الاهتمام؟

تعالوا لنقتبس شيئًا من تجربة صاحبنا حتى نتمتع بثمار الاهتمام بالصحب والإخوان، ومن يلاقينا ونلاقيه من بني الإنسان.

* * *

١١
مغالبة السفهاء



الإساءة إلى الإسلام ومقدساته ورجالاته قديمة للغاية، ويزداد شعورنا بالضيق منها اليوم بسبب التواصل العالمي الذي فاق كل التصورات، ونحن نعرف أن علماءنا اختلفوا في الماضي في تحديد نوعية الموقف المناسب تجاه مثل هذه الأمور، فمنهم من رأى تجاهلها؛ لأن في الانشغال بها إذاعة لها، وإشعارًا بأهمية من يقف وراءها، ومنهم من رأى ضرورة الرد عليها وتفنيدها... ولكل واحد من الرأيين وجاهته في الحقيقة.

إننا حين نَسْتنفرُ قُوانا في الرد على من يطعن على الصحابة - رضوان اللَّه عليهم - أو يريد حرق القرآن الكريم، فإننا نُغري السفهاء والمغمورين بالإقدام على الإساءة، حيث صار راسخًا لديهم بأن الطريق إلى الشهرة والثراء وحصد الجوائز يمر بالتشنيع علينا والاستخفاف بمقدساتنا، ولهذا فإن علينا أن نحرمهم من ذلك.

السؤال هو: ما ملامح الموقف من ذلك؟

١ - لا أعتقد أن التجاهل التام صحيح، ولا بد من إظهار موقفنا من ذلك وإظهار غَيْرَتنا على حرمات الإسلام، وأنا شخصيًّا أرى أن تتولى ذلك الهيئات والحكومات الإسلامية،

ولا بد من إشعار بلد المسيء أنه يسيء إلى علاقات بلاده مع الدول الإسلامية.

٢ - حين نستخدم العنف أو السب والشتم، فإننا نعطي انطباعًا بأننا عاجزون عن الرد العلمي والمنطقي، وهذا لا يخدم قضايانا، ولهذا فلا بد من أن يتسم الرد بالهدوء والتوازن، وأن يكون علميًّا قدر الإمكان.

٣ - إن من المهم أن نستثمر الإساءة إلى ديننا وتاريخنا... في الدعوة إلى اللَّه - تعالى - وإرشاد العباد إلى الدين الحق؛ وذلك بإظهار السماحة والحرص على عدم الانزلاق إلى صِدامات حضارية على مستوى الأمم.

٤ - الإساءات التي تصدر من بعض المسلمين هي الأشد خطورة؛ لأنها تعطي المسوِّغ للآخرين بالتمادي في الإساءة، ولهذا فإن الموقف من مسيئي الداخل يجب أن يكون صلبًا.

* * *

١٢
شكـرًا

قد وجهنا نبينا ﷺ إلى أن نفتح أفواهنا بالثناء على ما نراه من أمور جيدة، وبالشكر لأولئك الذين أحسنوا إلينا، فقال: « **من لم يشكر الناس لا يشكر اللَّه** »[١].

سنظل توّاقين إلى لمسة التقدير، سنظل متلهِّفين إلى سماع كلمة (شكـرًا) فهي تجعلنا نشعر بوجودنا في وسط عالم مزدحم بالمشاغل والهموم والبحث عن المصالح الشخصية، كلما درج الناس في سلم الحضارة زادت حساسيتهم نحو الجفاء ونحو الإهانة، وصاروا يتوقعون من بعضهم المزيد من اللطف في التعامل والمزيد من الالتفاتات الكريمة، ومن وجهٍ آخر فإن اجتماع الناس بعضهم مع بعض يولّد الكثير من التوتر بسبب اختلاف الأمزجة والأهواء والأفهام، وبسبب المنافسة على موارد محدودة، ولهذا فإني أعتقد أننا في حاجة إلى أن نجعل كلمة (شكـرًا) من أكثر الكلمات ترددًا على ألسنتنا، وذلك حتى نخفف من التوتر، ونضفي على الحياة العامة مسحة جديدة، إننا حين نقول (شكـرًا) نشعر بالرفاهية الروحية؛ لأن الشكر عطاء، والعطاء هو فرح الروح، وحين نقول: (شكـرًا) ، نترك انطباعًا جميلًا، ومعبرًا

---

(١) رواه الترمذي.

عن الاهتمام، وشيء من التواصل العفوي المجاني.

الذين يستحقون الشكر كثيرون، وكلما تمتعنا أكثر بالتأنق الداخلي اكتشفنا المزيد منهم. الخادم يستحق الشكر، والذي يكنس أمام بيوتنا يستحق الشكر، كما يستحقه الذي أجاب دعوتنا إلى طعام صنعناه.

أعرف أشخاصًا - هم بالطبع قليلون - يحسنون إليك ويساعدونك وهم يقولون شكرًا، إن النُّبل العظيم المستكنّ في أعماقهم يدفعهم بطريقة خفية إلى ستر إحسانهم إليك وتغييبه عن المشهد، ولا يجدون لتحقيق ذلك خيرًا من أن يشكروك، إنهم مدهشون حقًّا!

شكرًا لمن علّمني، ولمن أتاح لي أن أعلِّمه، وشكرًا لمن سامحني، ولمن أتاح لي أن أسامحه، وشكرًا لقارئ هذه الرسالة الذي منحني من وقته واهتمامه.

* * *

١٣

إخوان أبي ضمضم



رُويَ بروايات متعددة وبطرق عدة ترقى بالحديث إلى مرتبة (الحسن لغيره) أن رسول اللَّه ﷺ قال لأصحابه: « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ » قالوا: وما أبو ضمضم يا رسول اللَّه؟ قال: « **رجل ممن كان قبلكم، كان إذا أوى إلى فراشه قال: اللَّهم إني لا أملك دينارًا ولا درهمًا، أتصدق به على المسلمين، اللهم إني قد تصدقت بعرضي على من أصاب منه شيئًا من المسلمين، فلا أطلبه به في دنيا ولا آخرة** ».

وقد ورد في بعض الروايات أن اللَّه - تعالى - يباهي ملائكته بأبي ضمضم.

أبو ضمضم هذا أحد الأئمة الكبار في مدرسة التسامح والعفو وكرم النفس، ونحن في عصر العولمة، حيث أصبح للأنانية وروح الثأر والانتقام مخالب وأنياب، نحتاج إلى الاقتباس من عظمة هذا الرجل.

أبو ضمضم لم يكن ممن يحمل درجة الدكتوراه، والغالب أنه لم يكن من العلماء ولا من الأحبار، لكنه كان يملك مستوىً عاليًا من بعض الفضائل العزيزة والمدرَكات الراقية، منها فضيلة الاهتمام، إذ إن هذا الرجل يهتم بأولئك الذين يسيئون إليه ويغتابونه، ويطعنون في عرضه، إنه يسامح

كل المسيئين إليه عند كل مساء ! وفينا اليوم من لا يهتم بأبويه ولا بزوجته وأولاده، أَلَا ما أشد المفارقة...!

أبو ضمضم جمع إلى جانب نُبْلِ الخلق وسلامةِ الصدر ذكاءَ العقل، إنه يعرف كيف يكون الجود، وكيف يكون الرجاء في جود اللَّه وبره وعطائه، إنه يعطينا درسًا بليغًا، ملخصه: يمكن لأفقر الناس أن يكون أجود الناس، كما يمكن للعبد أن يستنزل عفو اللَّه عنه بعفوه عن عباده، يا له من فَهْمٍ رفيع لكرم المولى الجليل، تعفو عن هفوات عباده معك، فيكافئك بالعفو الشامل عنك، وهو أهلٌ لِأَن يُرضي عنك أصحاب الحقوق عليك، ويزيدك من فضله.

إننا نحتاج إلى أن نتتلمذ على أبي ضمضم، ونتعلم منه الاهتمام بالآخرين والعفو عنهم مع تحمل أذاهم، وبعد ذلك تكون حاجتنا إلى أن نقطع على أنفسنا عهودًا بأن نقول عند كل مساء مثل ما كان يقوله أبو ضمضم حتى تغتسل قلوبنا بضياء التسامح، ونشعر أننا بتنا في ضمان من ضمان الرحمن الرحيم.

* * *

١٤

عمامة الفقيه



يَحكون أنَّ فقيهًا كان يمشي في أحد الطرقات، وإذا بلصٍّ يمد يده، ويخطف العمامة التي كانت على رأسه، ثم يُطلق ساقيه للريح، فما كان من الفقيه إلا أن أخذ يجري خلف اللص، وهو يقول: وهبتك، قل قبلت، وهبتُك قل قبلتُ... قد شعر الفقيه بأن من المؤكد أن الحاجة المُلحَّة هي التي دفعت ذلك الرجل إلى أن يرتكب جناية من أجل الحصول على شيء لا يكاد يساوي خمسة دراهم، فَرقَّ قلبه له، وأحب أن يُعْلِمَه بأن له أن يمضي بالعمامة على أنها هدية أو هبة، حتى يشعر براحة الضمير وهدوء الخاطر.

نحن اليوم في حاجة ماسَّة إلى طريقة تفكير ذلك الفقيه وإلى رِقَّة قلبه ونبل عواطفه... حيث إن كثيرًا من الأخطاء والتجاوزات التي تقع هنا وهناك لا تصدر في الغالب من أشخاص شرِّيرين أو عدوانيين، إنها تصدر من أشخاص يمرون بظروف حرجة، وقاهرة تجعلهم يخضعون لضغوطاتها، فيفقدون رشدهم وصوابهم، وتصدر من أشخاص يمرون بلحظات ضعف أمام مغريات قوية، وأشخاص أساؤوا الفهم، فساء سلوكهم، وساءت مواقفهم... وهكذا فإن المعرفة الكاملة صفح كامل. من السهل أن نتهم

وأن نسيء الظن، وأن نعاتب، ونعاقب، لكن من الصعب أن نتفهم دوافع السلوك السيِّئ والموقف الرديء، ومن الصعب أن نعذر، وأن نصفح، ونواسي، إن هذه الأمور تحتاج إلى شفافية ورقة وإبداع.

ما أجمل أن نعقد العزم على أن نقبس من روح ذلك الفقيه وكرم ذاته حتى نرسِّخ في أعماقنا معاني العفو والتسامح والشفقة...

إننا حين نقع في خطأ شنيع نبحث بجدية ومثابرة عن أولئك الذين يلتمسون لنا الأعذار، ويتفهمون تداعيات أخطائنا، مما يوجب علينا أن نفعل ما كنا نرجو من الناس أن يفعلوه، وينهضوا إليه.

التسامح هو القوة الناعمة التي تغري بموقف ذلك الفقيه ممن خطف عمامته.

* * *

١٥



عقلية السَّعَة

نحن في هذه الحياة لا نرى سوى جزء صغير من الواقع وجزء صغير من الحقيقة،كما أننا لا نرى من العلاقات التي تربط بين الأشياء سوى أقل القليل، وينبغي لوضعية كهذه أن تدفعنا في اتجاه اكتشاف المجهول، وأن تملأ نفوسنا بالبِشْر والأمل؛ حيث إن أمامنا الكثير من الخير والكثير من الإمكانات الهائلة لكن هذا يتطلب منا أن نمتلك منظورات أرحب للحياة والأحياء.

وحتى يحدث ذلك فإننا نحتاج إلى الآتي:

١ - أن نعتقد بقوة أن ما عند اللَّه - تعالى - أكثر بكثير مما يظن الناس، ولهذا فينبغي أن نطلب منه كل حاجاتنا.

٢ - البعد عن حسد الناس والدعاء لهم بزيادة الخير.

٣ - كلما اتسعت إمكانات الإنسان زادت حاجته للتعاون مع الناس - على خلاف ما يُتوهم - وهذا يتطلب منه أن يهذب الزوائد في شخصيته ويرقّي حسَّه الاجتماعي ويعدّ نفسه للعمل ضمن فريق.

٤ - السفر والتنقل يفتح للإنسان الكثير من الأبواب ويوسع مداركه، وقد كان علماؤنا القدامى لا يمنحون الثقة العالية للعالِم إذا لم يرحل في طلب العلم.

٥ - الاعتقاد الجازم أننا لم نستخدم سوى جزء يسير من إمكاناتنا وأن أفضل الأعمال ليس ما أنجز، ولكن ما سيتم إنجازه.

٦ - التعلم المستمر والقراءة في الكتب المشحونة بالأفكار العظيمة.

* * *

١٦
شرط الشروط

إن شروط الفلاح في أعمال الآخرة والنجاح في أعمال الدنيا كثيرة، لكن تلك الشروط جميعًا تظل مرتكزة على شرط واحد هو: (المجاهدة) مجاهدة النفس في ذات اللَّه - تعالى -.

ومن الواضح أن الإنسان من غير مجاهدة يكون أشبه بجندي من غير سلاح؛ وذلك لأننا لو سمحنا لأنفسنا بمجاراة أهوائنا ورغباتنا ومصالحنا من غير قيود وحدود، فإن العاقبة ستكون الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة، وقد أخبرنا - ربنا سبحانه - أن عاقبة المجاهدة هي الهداية والفوز حيث قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ويمكن أن نعدّ من أنواع المجاهدة الآتي:

١ - مجاهدة من أجل فعل الصالحات، فالتكاليف الشرعية شاقة على النفوس، ومَن الذي يقول: إن الاستيقاظ إلى صلاة الفجر والذهاب إلى المسجد في ليلة باردة، هو أمر سهل؟ ومن ذا الذي يقول: إن إخراج زكاة المال حين تبلغ الملايين هو أمر هين على النفوس؟ إن العبادات بأنواعها المختلفة تنطوي على ابتلاء واختبار وبالمجاهدة وتصبير

النفس على الاستمرار في العبادة نحرز النجاح بحول اللَّه - تعالى - في ذلك الاختبار.

٢ - مجاهدة للانتهاء عن المنكرات والفواحش، وهذا النوع من المجاهدة مهم للغاية في زمان نتعرض فيه لاجتياح تيارٍ شهوانيٍّ رهيب: كل شيء من حولنا يغرينا بالفساد، والوقوع في المحرمات، وإن المطلوب قبل المجاهدة على هذا الصعيد هو تجنب المواقف والبيئات الفاسدة، فالبعد عن قرناء السوء وأماكن اللهو والفجور ومواضع الشبه والمشتبهات هو خط الدفاع الأول، وإذا اضطر الإنسان إلى الولوج في شيء من ذلك فليكثر من ذكر اللَّه، وليعتصم به ويسأله الحفظ، ثم إن عليه بعد ذلك أن يغادر البيئة الموْبوءة بأسرع وقت ممكن.

٣ -جهاد لمخالفة العادات؛ حيث إن منا من تعود عادات غير حميدة، ويكون التقدم الشخصي مرهونًا بالخلاص منها، وذلك مثل كثرة النوم وكثرة الأكل والتسويف في إنجاز الأعمال والفوضى والمخاطرة غير المحسوبة...

٤ - مجاهدة للحد من الرغبات؛ إذ إن رغبات الإنسان ستظل جامحة وطامحة نحو المزيد من الاستحواذ، وما أجمل قول أحدهم: إن ما في الأرض من رزق وخير كافٍ لسد حاجات كل الناس لكنه ليس كافيًا لتلبية رغبات شخص واحد !

إن لدى الإنسان رغبة جامحة في الاستزادة من المال والجاه، والاستزادة من كل المتع والشهوات، وإن المطلوب منه دائمًا أن يُثبت أنه قادر على جعل كل تطلعاته ورغباته خاضعة لآداب الشريعة ومؤطرة بمرادات اللَّه - تعالى - من عباده.

* * *

١٧
عطر الروح

إلهي نعَّمتني فلم تجدني شاكرًا، وبلوتني فلم تجدني صابرًا، فلا أنت للنُّعْمَى مع قلة الشكر أزلت، ولا أنت للبلوى مع قلة الصبر أدمت، فلك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد.

إلهي حين تَسْبَحُ روحي في بحار فضلك ولطفك أشعر بشعور أعظم من شعور من اغتسلت روحه في نهر من الطيب وبحر من الضياء، وحين أفكر في عظمتك ومجدك أشعر بكرمك الفذ الفريد: كيف تأذن لعبادك أن يناجوك ويذكروك، وكيف تتفضل عليهم فتجالسهم حين يذكرونك؟! ما بعد هذا الكرم من كرم، وما بعد هذا المعروف من معروف....

إلهي يتعطر لساني بالثناء عليك وتتعطر أذني بسماع اسمك، وحين أذكرك وأستغرق في حمدك تَنْتَابُني مشاعر متباينة: أنا صغير جدًّا أمام عظمتك، وأنا كبير جدًّا لأنني بين يديك، ألم يقولوا: إن الكبير ليس الذي إذا جالستَه وجدتَ نفسك صغيرًا، لكن الكبير هو الذي إذا جالستَه وجدتَ نفسك كبيرًا؟!

إلهي كم أرسلتَ إليَّ من إشارة، فلم أفهمها، لا لأنني غبي، ولكن لأنني غير مهتم، وهذه وجلالك نقيصة كبرى

فيَّ، وكم أرسلتَ مولاي من إشارة، ففهمتُها، ولكن لم أمتثل لها، ولا يكون ذلك استخفافًا بأمرك، لكن بسبب ضعفي أمام رغباتي، وبسبب ثقتي بعفوك وصفحك.

آهٍ من لغة لا تمدني بما يكفي من الكلمات كي أعبِّرَ لك عن حبي وإجلالي وامتناني لك، آهٍ لو كنت شاعرًا لقلت في تمجيدك والثناء عليك أنبل ما قاله محبٌّ في محبوبه وعبد في سيده وعتيق في كرم من أعتق... يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

إلهي اجعلني ممن يثني عليك آناء الليل وأطراف النهار، و اجعلني أثني عليك في قبري إلى يوم الدين، وما هذا عليك بكثير ولا عزيز وأنت الواحد الأحد الصمد العزيز الكريم.

إلهي أكرم عيني بأن تذرف الدمع من خشيتك، والشعور بعظمتك، والإحساس بقربك ولطفك وجودك، وأكرمها ربُّ بالنظر الدائم إلى وجهك الكريمِ في دار كرامتك، تبارك وجهك وتقدست أسماؤك وجل ثناؤك ولا إله غيرك.

* * *

١٨

إنعاش القيم

إن اللَّه فطر الإنسان على التسامي على كل من الغرائز والمنافع المادية، حيث إن في أعماق كل واحد منًا تشوقًا غامضًا إلى بعض المعاني النبيلة، من نحو: التضحية، والعطاء، والمعاونة، والتسامح، والكرم، والإيثار، وتأجيل الرغبات. وهذا التشوق والتطلع مع أصالته وعمقه يحتاج إلى رعاية دائمة، فهو مثل النبتة العزيزة التي تحتاج إلى سقاية وتعشيب ومكافحة للحشرات التي تضرُّ بها.

وإن من الملاحظ أن هذه المعاني النبيلة تكون أوضح وأقوى في المجتمعات والبيئات الضيقة - كالقرى الصغيرة - وفي البيئات المتوسطة من الناحية المعيشية أو ما يمكن أن نطلق عليها في المصطلح الشعبي القديم (أسر مستورة)، وحين يسكن الناس في مدن كبرى، وحين يغرقون في الثراء والرَّفاه، فإن هذه المعاني تنكمش عند كثيرين منهم، ولا أريد أن أخوض في أسباب ذلك، لكن من الواضح أن الناس حين يدرجون في سلم الحضارة يتفتح وعيهم على مصالحهم الشخصية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، أي تنمو لديهم المعاني ذات البعد الشخصي البحت، مثل: الأَثَرَة والشُّح والاقتصاد والتدبير والحرص

علـى الراحة الشخصية، والبحث عـن الملـذات الخاصة، بمعنى آخر: المزيد من التمحور حـول الذات، والمزيد من الإهمال للشأن العام.

هذا الذي نتحدث عنه اليوم تحدث عنه بعض الكُتَّاب الغربيين من نحو نصف قرن، وشكوا من نحو ما نشكو منه في هذه الأيام، ولا عجب فأمم الأرض - ولا يكاد يوجد أي استثناء واضح - جميعًا تدور اليوم في فلك الغرب، وتنسج على منواله، إن من المهم أن ندرك أننا لا نستطيع أن نُنْعش قيم التضحية والعطاء في الوقت الذي نريد فيه الحصول على أكبر قدر من المكاسب الخاصة، والتمتع بأعلى درجة من الرفاهية، إن هذا لا يستقيم مع ذاك، ولابد من التضحية بأحدهما أو شيء منه حتى يستقيم أمر الآخر.

القرآن الكريم يؤكد لنا في مواضع كثيرة على: أن مِن الضروري أن نتعلم التخلي عن بعض المنافع العاجلة في سبيل الفوز بالخلود الأبدي. وقد قال اللَّه لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ [الضحى: ٤] وقال في الأنصار: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

إن إنعاش القيم النبيلة التي أشرنا إليها يحتاج على الصعيد الفردي إلى المجاهدة في ذات اللَّه، والطريق بحمد اللَّه واضح، ويحتاج على الصعيد الاجتماعي إلى عدد كبير من المؤسسات والبرامج والمشروعات والأنشطة ذات النفع العام، وعلى المدارس في كافة المراحل أن تطلق الكثير من البرامج التدريبية على الخدمة العامة.

العمل التطوعي يُصقل نفوس العاملين فيه ويساعد على حل المشكلات لأعداد كبيرة من المواطنين، ويقدم بالإضافة إلى هذا وذاك نماذج حية في التضحية ونكران الذات يقتدي بها كثير من الناس.

إن الكسل وعدم الاكتراث والانهماك في خدمة الذات من أكبر المعوقات التي تَحْرم الناس من الاستمتاع بالقيم النبيلة، وإن الوعي والعلم ورجاء ما عند اللَّه - تعالى - من أكبر ما يحرِّض على البذل والجود، فأين المشمرون؟

* * *

١٩



أدومها وإن قل

عن عائشة أن النبي ﷺ قال: « .. **فواللَّه لا يمل اللَّه حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه** »[١].

هذا نص عظيم في الحثِّ على الاستمرار في عمل الخير ودوام التعبد، وقد استدعيته في مفتتح هذه الرسالة لأتخذ منه مدخلًا للحديث عن واجبنا تجاه إخواننا في فلسطين.

إنني أقول - وكُلِّي ثقة -: إن العدَّ التنازلي لتراجع دولة اليهود في فلسطين قد بدأ، ولا أريد هنا أن أشرح مقومات هذا الاعتقاد.

لكن أودُّ أن أقول: إن التعامل مع قضية فلسطين العزيزة يجب أن يتم وفق منطق الحديث الشريف آنف الذكر والذي يمكن أن نصوغه في الشعار التالي: (أقل الجهد والبذل من أكبر عدد).

نحن اليوم نحوٌ من ربع سكان الأرض، ولهذا فإننا نملك طاقات هائلة لدعم الشعب الفلسطيني الأَبِيّ الصابر المحتسب.

وأنا أقول: إن أزمة دعمنا للفلسطينيين هي أزمة إرادة

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ومثابرة وتنظيم وليست أزمة قدرة وإمكانات وظروف دولية معاكسة. مفاتيح الحل في أيدينا إذا عملنا بالشعار الذي ذكرناه، وإن تطبيقات ذلك الشعار تفوق الحد والحصر، ولعل منها:

١ - حسم (١٪) من المصروف الشهري لكل أسرة مسلمة من أجل دفعه لأسرة فلسطينية محتاجة.

٢ - (١٪) من ميزانية كل جامعة عربية وإسلامية لدعم ميزانية جامعة فلسطينية.

٣ - عقد توأمة بين كبريات المدن العربية والمدن الفلسطينية من أجل مد بلدياتها ودوائرها ببعض الخبرات والمعونات.

٤ - بنك أفكار ومعلومات للاستثمار في فلسطين وبناء المصانع فيها.

٥ - كل مؤسسة لرعاية الأيتام في أي بلد إسلامي تتكفل برعاية يتيم من أيتام فلسطين.

٦ - حصَّالة نقود لدى كل أسرة يضع فيها أطفالها شيئًا من مصروفاتهم لشراء هدايا وتقديمها إلى أطفال فلسطين.

٧ - تأسيس منظمات إغاثة دولية موثوقة وذات مصداقية لإيصال المعونات إلى فلسطين وتوزيعها بعدل وأمانة.

٨ - إنشاء وقف عالمي من أجل الإنفاق على بعض الأنشطة والمشروعات الإنسانية في فلسطين.

وهكذا وهكذا.. إن كل واحد منا يستطيع أن يسهم في شيء مما ذكرناه، ويتخلص بذلك من موقف الشاكي الباكي وموقف المتفرج...

* * *

٢٠
نقطة تجمع

حين فكرت في عنوان للمعنى الذي تحمله هذه الرسالة، خطر في بالي شيء من قبيل: نقطة افتراق أو نقطة مفصلية..

ثم قلت في نفسي يمكن أن نقول ما نريد، ولكن تحت عنوان إيجابي، يمكن للقارئ أن يتقبله بسهولة.

نحن الآن في عصر التيه والتشتت وكثرة المشاغل الدنيوية، وحين يكون المرء في حالة كهذه الحالة فإن احتمال نسيانه لأهدافه الكبرى ولمرشدات سلوكه يصبح قويًّا بل طاغيًا، ولهذا فإن من المهم أن نتحسس باستمرار السمات والخصائص الثقافية والحضارية التي تحفظنا من الانديا‌ح في مزالق الضياع.

نقطة التجمع التي أتحدث عنها تتعلق بالهدف الأساسي من الجهود الهائلة التي تبذلها البشرية على طريق التمدن والرقي العمراني والإنساني.

إننا نحن المسلمين نؤمن إيمانًا عميقًا أن كل الإنجازات الحضارية والثقافية ليست أكثر من وسيلة لبلوغ هدفٍ سامٍ وعظيم، هذا الهدف هو التحقق بمعنى العبودية للَّه - تعالى - والفوز بالتالي برضوانه والخلود في دار كرامته،

وإن مما يشير إلى هذا المعنى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] نحن نبني المصانع ونمهد الطرق وننشئ الحدائق، ونفكر ونكتشف ونبدع، ونبذل ونصبر، ونوالي ونفارق، ونتقدم ونُحْجِم ونرفِّه أنفسنا من أجل إيجاد وضعية وتوليد حالة نفسية يكون الامتثال معها لأمر الشرع أسهل.

إن من شأن الأهداف الكبرى أن تحدد معايير ومؤشرات طرق الوصول إليها.

ومن هنا فإن النظر إلى الجهود الحضارية على أنها غاية في حد ذاتها يجعل أصحابَه يسلكون طريقًا مختلفًا عن الطريق الذي نسلكه، كما يجعلهم يبنون رؤيتهم للحياة العامة على أسس غير الأسس التي بنينا، ونبني عليها.

وفي المقابل فإن علينا أن نتعاون مع كل من يشاركنا في بعض ما نؤمن به من كون الحضارة وسيلة لا غاية، وعلينا أن نحاول معه تشكيل تيار روحي إيماني أخلاقي يواجه التيار المادي والإلحادي الذي يتجاهل أشواق النفس البشرية إلى الإيمان والخلود في الجنة والعيش من أجل هدف نبيل يستعلي على حاجات الجسد وضرورات البقاء.

* * *

٢١
تقاسم الهناء

نشأ صاحبنا في قرية معروفة بحب أهلها بعضهم لبعض، فكان التودد إلى الأصحاب أحد طباعه، وتعلَّم من حياة القرية البساطةَ والانفتاح والتواصل، فكانت هذه المعاني عبارة عن ميسم عام لشخصيته... كان قلبه أبيض كالثلج، وكان لديه هموم عديدة، وكان من جملة همومه: إدخال السرور على إخوانه وأصحابه، حيث لازمه في السنوات الأخيرة شعور قويّ بتفكك العالَم على الرغم من كثرة أدوات الاتصال وتكاثرها، وكان يعتقد أن العزلة نوع من الموت، ولهذا فإنه قرر أن يكسرها بكل وسيلة ممكنة، وقد رأى أن إرسال الرسائل القصيرة والمعبرة إلى جوَّالات الأصحاب والأحباب مفيد جدًّا في ذلك؛ ولهذا فإنه قرر أن يحاول تقاسم الهناء والسرور مع نفر منهم كلما شعر بالارتياح، ووجد الوقت للتعبير عنه؛ ولهذا فإنه يستعرض الأسماء المحفوظة في جواله ليختار منها أربعة أو خمسة أو عشرة، ليرسل لهم التحية المقرونة بالدعاء، إنه يريد أن يقول لهم: أنا بخير، وأرجو أن تكونوا بخير.

إنه ماهر جدًّا في صياغة التعبيرات الأنيقة والمختصرة، يصوغها، ثم يرسلها، ويتلقاها الإخوان، فمنهم مَن يدعو له

في سِرِّه، ومنهم من يثني عليه أمام زوجته وأولاده، ومنهم من يرد على تحيته بمثلها، ومنهم من يرد عليها بأحسن منها.

فلسفة صاحبنا في هذا بسيطة للغاية حيث إنه يعتقد أن الهناء مثل العلم ينمو بالتبادل، فإذا كنت سعيدًا فضاعف سعادتك من خلال مساعدة الآخرين على الشعور بمثل ما تشعر، وليس هناك شيء يفعل ذلك كالدعاء والثناء.

وذات يوم طلب من أحد أبنائه أن يُفْرِغ له الأسماء المسجلة في هاتفه على ورق، فملأت نحوًا من خمسين ورقة، وقد كان ابنه وهو يُفرغ تلك الأسماء يشعر بشيء من الضيق؛ لأنه يرى أنه يقوم بعمل لا معنى له، وبعد مدة اكتشف أن أباه يتناول في كل يوم الورقة العليا من تلك الأوراق، ليدعو لأصحاب الأسماء المرقومة فيها ثم يضعها في أسفلها! قد أُعجب الابن بذلك، وصنع بالأسماء التي على جواله كما صنع بالأرقام التي على جوال أبيه، إنهما صارا ممن تقول لهم الملائكة كل يوم: « ولك مثله، ولك مثله »!

هذا هو الكرم الذاتي وهذا هو العطاء غير المشروط، فحيّا اللّه الكرماء في كل زمان ومكان.

* * *

٢٢

محورية الضعيف



لو تأملنا في العديد من النصوص الشرعية لوجدنا الكثير من الحث على مساعدة العناصر الضعيفة في المجتمع، ومن تلك النصوص قوله ﷺ: « **ابغوني الضعفاء، فإنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم** »[١].

وقوله: « **الساعي على الأرملة والمسكين - أي: المعين لهما - كالمجاهد في سبيل اللّه أو القائم الليل الصائم النهار** »[٢].

وهذا العطف على الضعيف نابع مِنْ أن كثيرًا من الناس يعيشون في ظروف صعبة لم يتسببوا فيها، ولم يختاروها، بل إنهم في بعض الأحيان قد يكونون ضحايا لأسرهم ومجتمعاتهم.

الفكرة التي أود تبليغها عبر هذه الرسالة هي: أنني أشعر أننا أصبحنا في السنوات الأخيرة أكثر عدوانية وأقل إنسانية، ويتضح هذا من الاهتمام البالغ للإعلام بالمنجزات الاقتصادية الهائلة للشركات والأفراد، كما أن أخبار نجوم المجتمع هي المسيطرة على الساحة، وهذا ينافي النزعة الإنسانية التي عُرفت بها الحضارة الإسلامية العتيدة.

---

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه البخاري.

إنني أود أن أوضح أن مقياس تقدم أمتنا لا يتمحور حول الأقوياء وإنما حول الضعفاء، لا تحدثني عن أعداد (المليارديين) في البلد، ولكن حدثني عن أعداد الذين يعيشون تحت خط الفقر، لا تحدثني عن أعداد حَمَلة درجة الدكتوراه، ولكن حدثني عن أعداد الأميين، لا تحدثني عن أعداد الذين يقضون إجازاتهم في أوربا، ولكن حدثني عن الذين لا يجدون عملًا، وإذا وَجَدوا لم ينالوا أجرًا عادلًا على عملهم.

الحديث عن هذه الفئات المتعَبة لن يحل إشكالاتها؛ ولذا فلا بد من إطلاق المشروعات والبرامج التي تخفف من معاناتهم، وتساعدهم على تحسين أحوالهم. الأهم من هذا صدور تشريعات وقوانين تحدد الحد الأدنى للأجور تحقيقًا للعدل ومنعًا لاستغلال الفقراء، ولا بد مع هذا وذاك من توسيع وتفعيل نظام تشريعات الضمان الاجتماعي، حيث إن معظم الدول الإسلامية لا تعرف هذا النظام أصلًا! إن البلاد ستكون محرومة من عطاءات ومساهمات كل أولئك الذي تم تهميشهم لسبب من الأسباب.

لا ينبغي أن يكون الهدف من مساعدة الفقراء، والمحرومين هو بقاؤهم على قيد الحياة وإنما تحويلهم إلى عناصر قوية وفاعلة تقدم المساعدة لغيرها عوضًا عن انتظارها من الآخرين، وهذا ليس بالصعب إذا قويت لدينا حاسة الرحمة وحاسة العدل.

٢٣
ثقافة التبرع

سبق أن أشرتُ إلى الاستجابة الواسعة لدعوة (بيل جيتس) لأثرياء أمريكا بالتبرع بنصف ثرواتهم، وذكرتُ أن ثقافة العطاء موجودة لدى الأمريكيين على نحوٍ راسخ، وقد ذكر بعض الأخوة: ما يفيد أن أثرياءنا يدفعون أكثر، لكنهم يؤثرون إخفاء صدقاتهم، فلا تظهر عطاءاتهم بخلاف الغربيين. أنا أتمنى أن يكون هذا الكلام صحيحًا، لكنه مع الأسف بعيد جدًّا عن الواقع!

ولديَّ أدلةٌ كثيرة على هذا، من أهمها أن في أمريكا (التي يَقِلُّ عدد سكانها عن عدد سكان العالم العربي) نحوًا من مليون ونصف مؤسسة لا ربحية، ولديها مئات الجامعات والمشافي ومراكز البحث الوقفية، كما أن لديها أكثر من تسعين مليون شخص (٣٠٪) (من عدد السكان) لهم صلة بمؤسسات تطوعية، ويجمع الأمريكيون لأعمال البر ما لا يقل عن مائتي مليار دولار سنويًّا، ولا ينفق العالم الإسلامي بطوله وعرضه في أعمال الخير ما يصل إلى خمس هذا المبلغ مع كثرة الأثرياء والمحتاجين لدينا.

إن إنصاف الخصوم جزء من قيامنا للَّه - تعالى - بالعدل والقسط، ورؤيتهم على ما هم عليه تساعدنا على رؤية

أحوالنا على النحو الصحيح، فالوعي بالذات فرع عن الوعي بالآخر.

لدينا الكثير من النصوص التي تدلُّ على عظيم ثواب البذل في سبيل اللَّه - تعالى - ولدينا تاريخٌ حافل ببذل الزكوات والصدقات وأنواع الأوقاف، لكن واقعنا لا يتجاوب مع تلك النصوص وذلك التاريخ.

وهذا يعود إلى عدد من الأسباب، منها:

١ - التربية الأنانية، إذ إن تربيتنا في البيوت تقوم - في الغالب - على تفتيح وَعْي الصغار على النجاح الشخصي وتجميع أكبر قدرٍ ممكن من المال مع إهمالٍ شبه تامٍّ لمعاني التطوع والبِرِّ والمعاونة والاهتمام بالشأن العام، الكل يريد لنفسه ولأولاده الاستحواذ على كل شيء دون أدنى تفكير بالآخرين.

٢ - عدم وجود قدوات واضحة وكافية في مجال التبرع والعطاء؛ لأن معظم المتبرعين يتبرعون بالفُتَات من ثرواتهم، وكثيرٌ من أثريائنا يضِنُّون على أنفسهم بدفع الزكاة وهي كما تعرفون نسبةٌ يسيرة جدًّا.

٣ - تَرَسَّخَ في وعينا أن على الحكومات وكبار الأثرياء تدبير شئون الفقراء، والإنفاق على المرافق العامة مع أن المطلوب في الرؤية الإسلامية من كل مسلم مهما كان

وضعه: أن يقف إلى جانب مَن هم أحوج منه وقد ورد أنه ما من واحد من الصحابة الكرام - رضوان اللَّه عليهم - له قدرةٌ على الوقف إلا أَوْقف شيئًا ولو يسيرًا.

٤ - في أمريكا تخصم الدولة كلَّ ما يتبرع به الأمريكي - ولو كان لمسجدٍ أو مركز إسلامي - من الضرائب المترتبة عليه على حين أن القوانين في كثير من الدول الإسلامية تجعل المتبرع أشبه بمن ارتكب جريمة !

٥ - روح المبادرة لدينا ضعيفة جدًّا، وهذا أدَّى إلى قلة أعداد المؤسسات الخيرية وضعف تنوعها على خلاف ما هو موجود لدى الغرب، فالأمريكي مثلًا: تعوَّد التبرع لأنه يجد نفسه محاطًا بمئات المؤسسات التي تحضُّه على مساعدتها في مشروعاتها، ولهذا صار العطاء عادة عندهم.

إن العمل الخيريَّ يشكِّل استدراكًا على قصور النظم، كما يشكل كرَّةً ثانية على طريق العدالة الاجتماعية، وإن بداية تنشيطه تكمن في ترسيخ ثقافة البذل في سبيل اللَّه - تعالى - وثقافة الاهتمام بالشأن العام.

* * *

٢٤
جيوش الشك



إن الإيمان والصدق والاستقامة أمور تظل أبدًا واضحةً وساطعةً ومتألقةً، كما تظل أمور من قبيل الكذب والخداع والانحراف متسربلةً بالتخفي والغموض، هذه هي طبائع الأشياء.

من المهم جدًّا أن يُقيم الزوجان العلاقة بينهما على الثقة المتبادَلَة، وأن يعملا على تعزيز تلك الثقة على نحوٍ مستمر، وهذا يقتضي من الزوجة ألا تتحدث أمام زوجها بكلامٍ يفهم منه أنه كان لديها في السابق نوع من الإعجاب بفلانٍ من الناس: ابن عم، ابن خال، ابن الجيران؛ لأن هذا يجعل زوجها يتساءل: هل زوجته تعتقد أن زواجها به كان ورطة، أو لم يكن الخيار الأفضل... وعلى الرجل في المقابل أن يجتهد أكثر وأكثر لإشعار زوجته بالطمأنينة والأمان وأنها ما زالت في نظره المرأة العزيزة والمفضلة.

وأودُّ أن أشير في هذا السياق إلى أن الرجال مسؤولون عن أكثر من (٩٠٪) من الشكوك داخل الحياة الأسرية، وهذا يعود إلى عدد من الأسباب:

منها: أن المرأة تعتبر أيّ امرأة في العالم منافسةً لها؛ ولهذا فإن مخاوفها من أن يتزوج زوجها عليها أو أن يقيم

علاقةً غير مشروعةٍ مع غيرها تظل نشطةً حتَّى مرحلة متقدمة من العمر.

ومنها كذلك: أن واقع الحال ينطق بوضوح شديد أن خيانة الزوجات لأزواجهن لا تصل إلى (١٠٪) من خيانة الأزواج لزوجاتهم، وليس في هذا انحياز للنساء، بل هو الشيء الثابت والمؤكَّد.

ولا أريد أن أتحدث عن أسباب هذا الآن، لكن أقول:

قد صار من المألوف جدًّا أن ترى الزوجةُ زوجَها وقد أغلق عليه باب إحدى الغرف ليتكلم الساعات الطويلة، وأن تجد المرأة لدى زوجها عددًا من شرائح الجوال، والشرائح التي تُستخدم للعلاقات المشبوهة يتم إخفاؤها في مكان ما، وحين تشكّ المرأةُ، أو تسأل زوجها حول ما يُثير في نفسها القلق، والريْبَ تُتَّهمُ من قِبَله بأنها: مريضة وشكاكة بدون مبرر، وأنها لا تثق به - مع أنه أهل للثقة! - ويلجأ من يسمُّون أنفسَهم رجالًا في تمشية أمورهم إلى التخفي والكذب، واللَّه - تعالى - ستَّار، حليم، يمهل، ولا يهمل، وبعد مدة يقع « الشاطر » لسببٍ من الأسباب، وحين تقول له زوجته: كان شكِّي في مكانه يقول لها: أنا هكذا، وإذا لم يعجبك ما أفعل؟ فبيْت أهلك موجود! وهو بهذا يمسك زوجته من اليد التي تؤلمها؛ لأنه يعلم أن حرصها على أولادها وبيتها يجعل الذهاب إلى بيت أهلها أمرًا في غاية المشقة أو أشبه بالمستحيل.

أسوأ شيء في الحياة أن تنظر إلى شخص على أنه الأول والأخير في حياتك، وأنه سندك وذخرك في الشدائد، وينظر إليك على أنك عبءٌ أو قيدٌ أو شيءٌ من هذا القبيل، وهذا هو حال كثير من الأزواج والزوجات اليوم، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم! أليس من المحزن أن تُجرِّد العولمةُ كثيرًا من الأزواج من معاني الخوف من اللَّه - تعالى - والحياء منه ومن معاني الشهامة والمروءة والنخوة. بضربة واحدة؟!

إن الزواج علاقة مقدسة وقائمة على التضحية والمراعاة والتحمُّل، وبعض الناس لا يريد منها أكثر من أن تكون ستارًا ودفعًا للريبة،أو أن تكون بابًا للحصول على تحقيق مصلحةٍ ما، وبعضُهم حين يلتقي الزوج والزوجة، فإن سلوك كلِّ واحد منهما يُشكِّل خلاصة لما لديه من دِينٍ وخلُقٍ وخلاصة للتربية التي تلقاها، وأعتقد أن على الأبوين تحمل مسؤولية تربيتهم لأبنائهم والأخذ على يد الذي يدمر حياة أسرته منهم بسبب حماقاته ومغامراته، وللأقرباء والمجتمع دورٌ مهمٌّ في الردع والإصلاح، وينبغي القيام بذلك الدور دون تأخير حتى نكون فعلًا خير أمة أخرجت للناس.

* * *

٢٥

منطقية التدين



قد لمسنا جميعًا في هذه السَّنَةِ وفي السنوات الماضية ذلك الإقبالَ العظيم من الصائمين في أنحاء الأرض على صلاة الجماعة وعلى القيام وقراءة القرآن وبذل الصدقات، مع حِرْصٍ شديدٍ على صيانة الآذان والعيون والألسن عن مساخط اللَّه - تعالى -. وهذه الوضعية لكثير من المسلمين في رمضان تشكِّل ما نطمح إليه من (منطقية التدين) والاستقامة، حيث إن جوهر التدين الحق يتمثل في: تلك الخيوط النورانية التي تربط العبد بخالقه ﷻ: خيوطِ الرجاءِ والحب والشوق والحياء والخوف والتبجيل والإذعان... ومن هذه الخيوط تُنسج (حلَّةُ التقوى) والتي تولِّد في حياة مَن يلْبَسها نوعًا من الانسجام بين معتقداته وأقواله وأفعاله، ولعل هذا هو الدرس الأكبر الذي نتعلمه من شهر الصيام.

إن كثيرًا من المسلمين لا يشعرون بالشوق إلى اللَّه - تعالى - ولا يناجونه ولا يشعرون بالسَّكِينة التي يأتي بها الإيمان العميق بسبب التناقضات الكبيرة في حياتهم الخاصة، إنك تجد أشخاصًا يصلُّون خلف الإمام، وبعضهم يحرص على المظهر الإسلامي لكنه يعامل خادمته المسلمة بأسلوب لا يليق استخدامُه مع الحيوان، وتجدُ الفتاة التي

غطَّتْ شعرها، ومع هذا فهي تضع الأصباغ على وجهها، أو تلبس البنطال الضيق أو تمازح الشباب، وتجد من يحرص على بعض السُّنن لكنه سيئ الخلق مع زوجته وزملائه...،إن هذه التناقضات عبارة عن تقطعات في خيوط (حلَّةِ التقوى) وعبارة عن خروقٍ في نسجها، وإن مجاهدة النفس في ذات اللَّه تعالى وأخذ الكتاب بقوة اليقين، مما يجعل الوضعية العامة للواحد منَّا منطقيةً ومفهومةً ومُرضيةً.

* * *

٢٦



المبادرات المتعددة

إن معظم المشكلات التي نواجهها في الحياة ذات طبيعة مركَّبة، وذلك كثيرًا ما يكون بكثرة العناصر المكوِّنة للمشكلة، وكثرة الأسباب التي أدت إلى وجودها، ومن هنا فإن الحكمة تقتضي أن نواجه مشكلاتنا بعددٍ من الحلول والمبادرات الصغيرة، وكلما كانت المشكلات التي نواجهها أكبر احتجنا إلى حلول ووسائل وطرق ومبادرات أكثر. إن ميزة هذه الطريقة في مواجهة المشكلات: أنها تعطينا الإحساس دائمًا بإمكانية فعل شيءٍ مَا قبل الاستسلام لها، إنها تجعلنا ننخرط في عملية إصلاح متدرج ومتنوع، وهذا في حد ذاته فضيلة من الفضائل.

ولعلِّي أسوق مثاليْن لتُوضِّح هذه الفكرة:

المثال الأول: شاب تخرَّج من الجامعة، وحاول العثور على عمل، فلم يفلح، ما الذي سيكون في إمكانه أن يفعله؟

١ - ينظر إلى ما هو فيه على أنـه مؤقت، وسيأتي اللَّه - تعالى - بالفرصة.

٢ - يستيقظ قبل الفجر، ويدعو اللَّه - تعالى - بما يحب؛ فهذا وقت من أعظم أوقات الإجابة، وعليه ألا يستعجل في الحصول على ما يريد.

٣ - يعمل في أي عمل، ولو كان غير ملائم له، فذلك خير من الجلوس.

٤ - يمكن أن يعمل ولـو مجانًا مـن أجْلِ استفادة بعض الخبرة في مجال تخصُّصه.

٥ - يحاول تحسين سيرته الذاتية من خلال تقوية لغته وامتلاك بعض المهارات الأساسية مثل استخدام الحاسب الآلي.

٦ - يحـضر بعـض الدورات التدريبية لتحسين سويّة شخصيته ومداركه.

٧ - يكتب سيرةً ذاتيةً جيدةً، ويقدم طلباتٍ إلى أكبر عدد ممكن من المؤسسات والشركات.

٨ - يملأ وقته وفراغه بالقراءة والاطلاع على تخصصه وغيره.

المثال الثاني: زوجان شعرا بالسَّأَمِ من الحياة الزوجية وكثر بينهما الجدال والخصام ما الذي يمكن أن يفعلاه؟

١ - شيء من الشجار موجود في كل البيوت.

٢ - عدم إثارة أيِّ نقاشٍ في وقت تعكُّر مِزاج أيٍّ واحدٍ منهما.

٣ - غض الطرف عن بعض الهفوات وعدم المفاتحة والمكاشفة في كل صغيرة وكبيرة.

٤ - يقلل كل واحد منهما من اعتماده على الآخر في توفير المسرّات لنفسه؛ وذلك من خلال إغناء روحه وفِكْرِهِ وملء وقته بالأشياء النافعة.

٥ - إذا غضب الزوج هدَّأته الزوجة ولم تصعِّد الأمور، ويفعل الزوج مثل ذلك في حال غضب زوجته.

٦ - يحاول الزوج ألا يمضي اليوم حتى يصالح زوجته في حال المقاطعة والمنافرة.

٧ - البحث في أسباب النزاع بينهما، ومحاولة القضاء عليها.

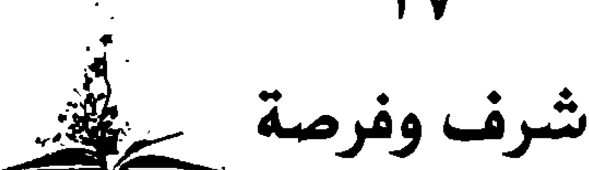
٨ - يقرآن كتابًا في أصول وأدبيات التعامل بين الزوجين.

٩ - يتخذ كل منهما من الإحسان إلى الآخر والاهتمام به وسيلة لتندية الحياة الزوجية وترطيبها.

١٠ - أمور أخرى عديدة...

* * *

٢٧
شرف وفرصة



قلتُ لأحد جيراني في يوم من الأيام: أراكَ تسارع إلى صلاة النافلة بعد الفريضة، وكأنك لا تأتي بالأذكار الواردة؟ فقال الرجل: أنا آتي بها، لكن هل تريد مني أن أجوِّدها؟! وضحكتُ من جوابه وسرعة بديهته.

إن الواحد منَّا إذا زاره وزير أو وجيه، أو اتصل به من خلال الهاتف يخبر بذلك كثيرًا من معارفه؛ لأنه يرى ذلك دليلًا على وجاهته وسموِّ قدره، ولا شك أن لذلك دلالةً خاصةً، لكنْ كيف ينبغي أن تكون الحال فيما لو ظفر المرء بمعية ورعاية خاصة من رب العالمين الذي مَلَك الرقاب، وإليه المآل؟!

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يقول اللَّه ﷻ أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني وتحرَّكت بي شفتاه**»[١]، وهذا يؤيد ما ورد من أن اللَّه – تعالى – أوحى إلى موسى: «..**أَمَا علمتَ أني جليس من ذكرني وحيثما التمسني عبدي وجدني**».

وقد ذمَّ اللَّه – تعالى – المنافقين، ووصفهم بأنهم لا يذكرون اللَّه إلا قليلًا.

---

(١) رواه البخاري.

إنه لشرف ما بعده شرف أنْ يشعر المسلم أنه حين يذكر ربه يكون في كنفه، ورعايته، وقد فاز بمجالسته ومناجاته، ولا يصح لأحدٍ أن يزهد في هذا الشرف، أو يغفل عنه.

إن كل العبادات تستهدف تمتين صلة المسلم بخالقه ﷻ، وإن الذكر يضمن ذلك، فعن عبد اللَّه بن بسر ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه ﷺ: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال له: « **لا يزال لسانُك رطبًا من ذكر اللَّه** »[1].

وقد قيل لأحدهم: أما تستوْحِش وحدك؟ فقال: أَوَ يستوحش مع اللَّه أحد؟! من لم تقرَّ عينه باللَّه، فلا قرَّت عينُه، ومن لم يأنس باللَّه، فلا أَنِس!

إن الذكر عبارة عن كلام، فهو لا يشغل الإنسان عن قيادة السيارة، ولا عن حراثة الأرض ولا خياطة الثوب، ومع هذا فإن فيه فرصةً لا تتكرر لمضاعفة الحسنات.

وما أجمل ما رُوِيَ مِنْ أن رسول اللَّه ﷺ خرج من بيت زوجه جويرية - رضي اللَّه عنها - بُكرةً حين صلى الصبح، في مسجدها - أي موضع صلاتها - ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: « **ما زلتِ على الحال التي فارقتكِ عليها؟** » قالت: نعم. قال: « **لقد قلتُ بْعدكِ أربعَ كلماتٍ ثلاثَ**

---

(١) رواه الترمذي.

مراتٍ لو وُزِنت بِمَا قلتِ منذ اليوم لوزنته: سبحان اللَّه وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وَزِنة عرشه ومداد كلماته».

هذه درر منثورة أمامنا، ولا نحتاج إلى أكثر من أن نلتقطها، ونمضي بها.

* * *

٢٨
حياة مختلفة



نحن نستظل هذه الأيام بظلالٍ من نوع مختلف، حيث يتنسم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها نسائم الطاعة والقرب من اللَّه ﷻ وحيث يقومون بتجديد العهد باللَّه وإعلان الولاء المطلق لدينه وشريعته، ولا أدري في الحقيقة ما أقول؛ إذ أشعر في بعض الأحيان أن صيام رمضان هو استدراك على قصورنا في الأشهر الأحد عشر الماضية، وأشعر في أحيان أخرى أنه محطةٌ للتزوّد بالطاقة الروحية من أجل القيام بمهماتنا في الشهور القادمة، وأشعر تارة أن وظيفة صيام رمضان تكمن في تقديم نموذج لِمَا ينبغي أن تكون عليه أحوالنا وأوضاعنا في سائر أيام السنة، ومهما يكن الأمر فإن رمضان قد فتَّح وعينا فعلًا على حياة من نوع مختلف، حيث نشعر وكأن كثيرًا من المسلمين كانوا نيامًا قبل مجيء رمضان، فأيقظهم رمضان ليتحفهم بكمٍّ هائل من مباهج الروح.

إن في شخصية الإنسان فراغًا لا يمكن ملؤه من غير التذلل بين يدي اللَّه - تعالى - والثناء عليه، والشعور بمظلة الأمن والأمان التي ينشرها ذكر اللَّه ﷻ حين يخرج من الأعماق.

إن العولمة فتحت وعي الناس على الملذات: ملذات

الأطعمة والأشربة وملذات التملك والرفاهية والنفوذ وحرية التصرف، وقد ظن كثير من الناس الذين تحقق لهم قدر من ذلك ظنُّوا أنهم قد حصلوا على شيء عظيم وكافٍ لتحصيل كل المسرات، لكن حين ينغمسون في الملذات والشهوات المباحة وغير المباحة يكتشفون أنهم كشارب ماء البحر، كلما ازداد شربًا ازداد ظمأً، كما أنهم يشعرون بدرجة من العتمة الروحية حين تكون موارد ملذاتهم محرَّمة.

شهر رمضان يرسل للأمة رسالة معاكسة لرسالة العولمة؛ إذ ينبهنا إلى أن السعادة الحقيقية ليس لها سوى طريقٍ واحد، وهذا الطريق ليس شيئًا سوى الاستغراق في ألوان الطاعات، والتماس الشعور بمعية اللَّه - تعالى - والتلذُّذ بمناجاته.

رمضان يقول لنا: المهم دائمًا ليس ما ستتركونه وراءكم ولو بعد حين، وإنما المهم ما ستأخذونه معكم، ولن تجدوا شيئًا تأخذونه معكم سوى الصلاة والصيام والصدقة والذكر... فهنيئًا لمن أبصر الطريق قبل فوات الأوان، ومضى فيه أشواطًا قبل أن ينفد الوقود، ويتوقف كل شيء.

* * *

٢٩
الروح الرحبة

إن أجمل ما في الحياة هو ذلك التعاطف الذي نلمسه من أولئك الذين يساندوننا في الشدائد، ويقتسمون معنا الهموم التي نشعر بها.

والحقيقة أن الناس مع التمدن والتقدم العمراني يتفتح وعيهم على مصالحهم الخاصة، ويصبح اهتمامُهم بمَنْ حولهم وبإخوانهم المسلمين ضعيفًا أو معدومًا، ولهذا فإننا في حاجة إلى استلهام معاني ديننا العظيم في حب الخير للناس والإحساس بهم.

كلما كانت صدورنا أوسع وأرواحنا أرحب وجدنا قلوبنا تخفق مع مئات الناس الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم، وإن الإسلام يريد منا أن نخرج من « القمقم » الذي نجد أنفسنا فيه نتيجة تنامي الروح الأنانية لدينا إلى فضاء الإنسانية الرحب، وهذا ما كان يتجسد في سيرته ﷺ وسيرة كل أولئك الناس الذين فَقِهوا معنى التدين على الوجه الصحيح، وقد ثبت أنه مرَّت جِنَازة برسول اللَّه ﷺ فوقف ووقف معه أصحابه حتى جاوزتهم، فقال أحدهم: يا رسول اللَّه: إنها ليهودي! فقال ﷺ: « **أليست نفسًا** ».

أعرف شخصًا إذا رأى في الشارع سيارة متهالكة قال:

يا رب ارزق أخي خيرًا منها، وإذا حدث اصطدام بين سيارتين قال: اللَّهم أخلف على إخواني وعوِّضهم خيرًا، وإذا سمع صوت سيارة إسعاف قال: اللَّهم اشف من بداخلها وارحمه واغفر له... شيء عظيم يجب أن نتعلمه، ونعمل به.

نحن نستطيع أن نهذب نفوسنا من خلال الاهتمام بالآخرين ومساعدتهم، ونستطيع أن نضاعف أفراحنا من خلال رؤيتنا لفرحة من حولنا، فالكبار من الناس يُنعشون أرواحهم من خلال العطاء والتشجيع والتحفيز والتعاطف، أما الصغار فإنهم يظنون أن السعادة في الأخذ، ثم يكتشفون بعد ذلك أنهم لا يشعرون بالسعادة الحقيقية لا في وقت الأخذ ولا في وقت العطاء.. لنترك التلوينات والاعتبارات الثقافية والعرقية والإقليمية، ولنحاول أن نتخلق بخلق الإحسان والذي يعني أن نصل من يقطعنا ونعطي من يحرمنا ونهتم بمن يُهْملنا حتى يكمُلَ إيماننا ونفوز بمرضاة اللَّه ﷻ

* * *

٣٠
سقم المجالس

تدعى إلى وليمة أو (سهرة) وتجد أن المدعوين إليها من المثقفين والمبرزين في عدد من التخصصات، وقد يتأخر الطعام، وقد تكون للمائدة ذيول طويلة، فتجد أن المجلس قد يمتد إلى ساعتين أو ثلاث ساعات وتحدث المشكلة حين يزيد العدد على عشرة، حيث تجد آنذاك أن كل اثنين أو ثلاثة استغرقوا في حديث جانبي، وأحيانًا يكون معظم المدعوين من المعلمين أو الأطباء أو التجار... وحينئذ فإن هموم المهنة ومشكلاتها هي التي تستأثر بمعظم حديث الناس، وتصبح الجلسة عبارة عن فرصة لينفث المصدور ويفضي المهموم بهمومه من غير أن يحصل على أي فائدة، ويصبح بذلك المجلس مملًا وكئيبًا وغير مفيد.

في بعض الأحيان يبحث أحد الحاضرين عن موضوعٍ يتحدث فيه الجميع، ويعتقد أنهم يستفيدون، وفي الغالب فإنه يطرح قضية عامة تتصل بالتخلف والتحضر، وتضرب بتشعيباتها في التاريخ أو في العلاقة مع الغرب أو في المقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، وقد تكون هذه الموضوعات هي أفضل ما يمكن لمثقفين متعددي التخصُّصات والانتماءات أن يتحدثوا فيه، لكن المشكلة أن

الموضوع يكون كبيرًا جدًّا والذين يعتقدون أنهم يجيدون الحديث فيه هم كل من في المجلس أو جلّهم، وكثيرًا ما يحظى المجلس بشخص صاحب ذاكرة قوية، يحفظ الكثير من القصص والحكايات والأرقام التي تؤيد وجهة نظره، فيندفع في الحديث كالسيل الهادر، ويرفض التوقف لأي سبب! في بعض الأحيان يكون في المجلس متخصص في القضية المطروحة، لكن لا يعطى الفرصة للتحدث في اختصاصه، ويُعامَل من قبل الحاضرين كما يعامل البعيد جدًّا عنه، تعلو الأصوات، وتكثر المقاطعات، وتتكون تحالفات صغيرة داخل المجلس حول كبار المتحدثين فيه، وينفضّ المجلس بعد ذلك وقد تعكرت القلوب، ولم تستنر العقول...!

وأنا أشعر أن المشكلة تتركز في الانطباعات التي يخرج بها الشباب والفتيان الموجودون؛ حيث يشعرون أن آباءهم غير قادرين على الاتفاق على أي شيء، وقد يكتشفون سطحية في الطرح لدى بعضهم وتزييفًا في عرض الأدلة والوقائع عند آخرين، مما يزيدهم حيرةً وإحباطًا.

هذا هو الواقع فكيف نعالجه...؟

* * *

٣١
العلاقة الأهم

من السهل على الإنسان أن يدرك الأشياء على أنها كيانات معزولة، كما أن مِن السهل عليه أن يدرك خصائصها الذاتية، لكن من الصعب عليه أن يدركها على أنها جزء من منظومة أكبر، وأن يدرك ما تتركه العلاقات فيها من آثار وتغييرات، مع أن الشيء عند تدقيق النظر كثيرًا ما يكون هبةَ علاقاته.

نحن في هذه الحياة نقيم الكثير من العلاقات،لكن العلاقة الأهم والأبقى والتي يمكن أن نقول:إنها فعلًا مصيرية هي علاقتنا مع اللَّه ﷻ إنها علاقة العبد بسيده، وعلاقة الفقير الضعيف المحدود بالخالق القوي العزيز الكبير.

هذه العلاقة تحتاج حتى تنمو وتقوى وتستمر إلى عناية ورعاية خاصة، إنها مثل النبتة العزيزة تحتاج إلى السقاية والتعاهد، وإن الماء الذي نسقي به علاقتنا باللَّه تعالى: هو الخضوع لجنابه والانكسار بين يديه واللجوء إليه في السراء والضراء والاستقواء به والتقرب إليه بأنواع القربات، وهذا التقرب حين يستمر على نحو كثيف يجلب للعبد محبة اللَّه - تعالى - ورضوانه فيصبح ويمسي في كنفه وتوفيقه ومدده، ويتقلب في واحات عنايته وبِرِّه، كما قال ﷺ في الحديث القدسي: « **وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى**

أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه »[١].

حتى تكون علاقتنا باللَّه - تعالى - فعّالة ومؤثرة في صياغة شخصياتنا وحتى تكون بعيدة عن الوهم والادعاء والتهويم، فإننا في حاجة إلى أن نجعلها (ضابطة) لكل علاقة نقيمها مع الناس والأشياء والزمان والمكان، إنها العلاقة الأهم ولأنها الأهم فإنها الحكَم والمعيار، فالمسلم يعطي للَّه، ويمنع للَّه، ويقبل للَّه، ويُعرض للَّه، ويتعفف من أجل اللَّه، ويكبح جماح نفسه للَّه.. إنه باختصار يحيا ويعيش ويتحرك في الأرض وفق مرادات اللَّه ﷻ وينظر إلى الأشياء ويقوِّمها، ويزنها بموازين اللَّه، إنه العبد الذكي والزكي الذي يحرر إرادته من سلطان الأشياء ليحيا وفق إرادة اللَّه ساعيًا في تحقيق محبوباته.. ومن خلال هذه النوعية من الحياة يعيش السعادة في أسمى معانيها ويدخل جنة الدنيا، كما يقدم للبشرية نموذج الإنسان الذي عرف دربه ووجهته؛ لأنه عَرَف ربه، ومن تلك المعرفة يستمد الطاقة المتجددةَ للتغلب على عقبات الطريق ودفع تكاليف السباحة ضد التيار.

* * *

---

(١) رواه البخاري.

٣٢
الخيال الخصيب

خلق اللَّه الحيوان وزوَّده بالبرمجة التي تمكِّنه من حماية نفسه وكسب رزقه، لكن ليس لديه طموحات، ولا تطلُّعات، ولا يملك من القدرات الذهنية ما يُخْرجه من حدود خبراته المحدودة، أمَّا الإنسان المكرَّم فله شأنٌ آخر، إنه يملك من خصوبة الخيال ما يجعله يتجاوز خبراته وخبرات غيره، ولهذا فإن أمامه دائمًا أُفُقًا للتغيير والتطوير والارتقاء.

لكن يبدو أن استخدام الخيال ليس ميسورًا لكل الناس، ولا بد من مُحَرِّضٍ عليه، والمُحَرِّض يتمثل في النماذج الراقية التي نراها في البيئات المتحضرة والمتقدمة، وقد كان نابليون يقول: إن معظم مؤسساتنا مصابة بفقر الخيال، ولولا الخيال لكان الإنسان بهيمة، ويبدو لي أن المرء حين يعيش في البادية أو في قرية أو في مدن بائسة مثل مدن الصفيح الموجودة في بعض الدول، فإنه قد يشعر بالسعادة والطمأنينة، لكن آفاق الازدهار والارتقاء لديه إمَّا أن تكون مسدودةً أو ضيقةً، وذلك بسبب قلة الفرص، والوظائف وصغر المؤسسات والشركات وتواضع المؤسسات التعليمية في المراحل المختلفة، كما أن المراكز التدريبية تكون شبه معدومة.

أنا لا أريد أن أقول: إن الحياة في المدن الكبرى أحسن، حيث إن من المجرَّب أن العيش في المدن الصغرى والقرى أهنأ؛ بسبب بساطة الحياة وإمكانية التواصل مع كثيرٍ مِن الناس مما يولد درجة عالية من الألفة والمودة والمعرفة لكن في زماننا هذا صار النجاح والتقدم مصدرًا عظيمًا من مصادر الحياة الكريمة والأمن والاستقرار، حيث انقضى عصر الأشياء المجانية، وصار الحصول على أي شيءٍ يحتاج إلى المال.

ما العمل؟ هل الحل في نزوح الناس إلى المدن؟

هذا ليس بحل.

الحل الجوهري هو تحضير الريف، لكن هذا يتم بصورة بطيئةٍ جدًّا.

الحل إذًا هو: أن يكون المرء على صلةٍ بالمراكز الحضرية، على صلة بالمكتبات والمحاضرات والندوات، على صلة بأهل العلم والمفكرين والمبدعين، على صلة بالمشروعات والبرامج الناجحة، على صلة بمراكز التدريب التي تساعد على تنمية الشخصية.

لنقرأ قصص النجاح، ولنحاول استلهام العبرة والدروس من أسبابها وأحداثها، ولندخل عالم الناجحين، ولنقرأ في سيرهم لنطَّلع على الصفات الأساسية التي ساعدتهم على

التميز، ولنحاول الاقتداء بهم. لنستخدم الخيال في ارتياد المجهول والخروج من سجن الخبرات الفجة.

إن كل هذا يساعدنا على التغلب على فقر النماذج وضيق البيئات، لكن نحتاج قبل كل هذا إلى التغلب على القنوط واليأس وانحسار الفكر، الذي نجده حين نعيش في أوضاع صعبة وأماكن مهمَّشة.

* * *

٣٣
صناعة التفاؤل



لا يكاد يجتمع جماعة من أهل الخير والغَيْرة حتى ينقسموا إلى فريقين:

- فريق متفائل يتحدث عن انتشار الحجاب وكثرة روَّاد المساجد.

- وفريق متشائم يتحدث عن أمور سلبية كثيرة، وينفضُّ القوم على انقسام كما بدأوا.

والحقيقة أن كلًّا منهم على صواب، وما ذلك إلا لأن كل فريق يتحدث عن جانب من الواقع وعن الأشياء التي رآها.

إن من طبائع التكوين الحضاري أنه يسمح بتساوق التقدم في بعض المجالات والتخلف في مجالات أخرى، لكن علينا دائمًا أن نبحث عن شيءٍ عمليٍّ يحول بيننا وبين القاعدين المتفرجين.

إن التشاؤم ليس من الأمور المستحبة؛ لأنه يجعل صاحبه يشعر بالمرارة، ويدفعه في اتجاه الاستسلام للمشكلات، والإكثار من الشكوى دون الحصول على أي شيء.

أما التفاؤل فإنه قد كان من دأب نبينا ﷺ وتدل أحاديث كثيرة على أنه ﷺ كان يغتنم كلَّ مؤشر يتيح شيئًا من التفاؤل حتى

يشرحه لأصحابه، (وأنا في أثره وعلى هديه، تفديه نفسي).

إن أعظم ما في التفاؤل أنه يشير دائمًا إلى وجود فرصة لعمل شيء أفضل وأجود.

وإذا تأملنا في أحوال المتفائلين، فإننا نجد أنهم ينقسمون أيضًا إلى فريقين:

- فريق يتحدث عن التفاؤل، ويطرب لسماع كل ما يشير إليه.

- وفريق يصنع التفاؤل، أي يسهم في تقدم الحياة العامة وازدهار معاني النبل والفضيلة.

وكما أننا نجد في صناعة الأشياء من يصنع الإبر والكؤوس والأقلام ويصنع السفن والطائرات كذلك تجد الأبطال العظام الذين يبثُّون روح التفاؤل في جيلٍ بأكمله، وتجد من يساعد ولده على أن يكون متفائلًا.

ونحن اليوم في حاجة إلى الرواد الكبار الذين يجعلون من الإنجازات الملموسة منابع ثَرَّة للشعور بأننا في خير وإلى خير، كما أننا في حاجة أيضًا إلى من ينشر روح التفاؤل من خلال أصغر الأعمال الإيجابية؛ حيث لا يأتي بالأمل إلا العمل، أمَّا المتفرجون على ما يرون والذين يفرحون بانتصاراتٍ لم يخوضوا معاركَها، فإن عليهم أن يعيدوا حساباتهم، لعلهم يعثرون على وسيلةٍ تنقلهم من دائرة البطالة إلى دائرة الفعل.

٣٤
استراحة قصيرة



من الواضح أن الكوكب الذي نعيش عليه يشهد تغيراتٍ هائلةً، والعنوان العريض لهذه التغيرات يتمثل في: استنزاف ما في باطن الأرض من خيرات، والعمل على تلويث التربة والماء والهواء، إنه تخريب واسع النطاق، ستدفع ثمنهُ غاليًا الأجيالُ القادمةُ من الأبناء والأحفاد.

السبب الجوهري هو: العيش على هذه الأرض بأسلوب يبتعد كثيرًا عن تعليمات الخالق ﷻ، وذلك أن الأرض مجهزةٌ على نحو رائع؛ لِأَنْ نعيش فيها عَلَى أنها دارٌ مؤقتة وعابرة كما يفعل المسافر الذي يرتاح في استراحة على الطريق مدة ساعتين أو ثلاث ساعات، وهذا واضح في قوله ﷺ: « **مالي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح و تركها** »[1].

هذا يعني: أن يأخذ كل واحد من الناس من هذه الدنيا ما يحتاج إليه فعلًا مع شيء من الرفاهية ونظرة مشدودةٍ دائمًا إلى دار الخلود الأبدي حيث السرور والأمان والمتعة أشكال وألوان.

---

(١) رواه الترمذي.

لكـن الـذي يحـدث الآن هـو أن الاستـراحة المجهزة لإقامة خمسة أشخاص مدة ساعتين صارت عبارة عن سكن دائم لعشرين شخصًا، فآذوْها وأثقلوها وآذوْا أنفسهم، وسيتركونها وهي في أسوأ أحوالها.

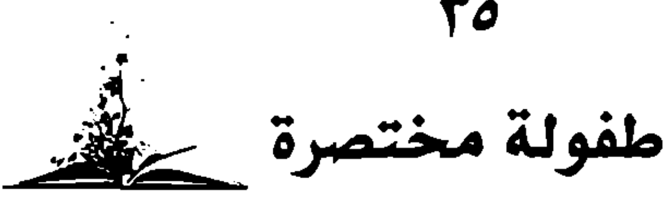
إن ما في الأرض من خيرات كافٍ لسد حاجات كل الناس لكنه ليس كافيًا لتلبية رغبات رجل واحد، وهكذا فإسقاط الآخرة من الحساب لدى الكثيرين جعل شهيَّتَهم تنفتح إلى الحد الأقصى على العبِّ من شهوات الدنيا، وهذا ما لا يمكن للأرض تحمله مدة طويلة.

أنا لا أعـجب للملحد حين يفـعل ذلك لكنني أعجـب لأسرة مسلمة تستهلك عشرة أضعاف ما تستهلكه أسرة غير مسلمة، وأعجب لامرأة ترجو اللَّه واليوم الآخر تنفق على الحليّ والثياب والشكليات أضعاف ما تنفقه امرأة تعتقد أن الدنيا هي دنياها وآخرتها معًا!!

الاحتباس الحراري والتلوث الواسع الذي يدمِّر البيئة الطبيعية اليوم هما من أعراض المرض الذي يجتاح البشرية، وذلك المرض يتمثل في الضلال عن الطريق القويم، وفي الرؤية العمشاء لكل من الدنيا والآخرة، فهل آن الأوان لوقفة مراجعة صادقة على مستوى الحياة الشخصية لكل واحد منا؟

* * *

٣٥



طفولة مختصرة

إن الإنسان حين يولد يكون ناقص الإنسانية، فهو لا يملك المشاعر ولا معايير الصواب والخطأ، ولا يعرف ما يليق مما لا يليق، ومن هنا فإن مدة طفولته تكون طويلة إذا ما قورنت بطفـولة الحيوان، وذلك حتى يستكمل إنسانيَّته مـن خـلال التربية والتعليم، وحتى يستعد لحياةٍ هي أرقى بكثير من حياة الحيوان.

الطفولة تعني: العفة والغفلة بل الجهل بالأمور الجنسية، وتعني الحاجة إلى الرعاية والتوجيه والإنفاق المادي من قِبَل الأهل، وتعني كذلك احترام الكبار والتطلع إلى التعلم منهم.

ونستطيع أن نقول: كلما طالت فترة طفولة المرء رجوْنا له مستقبلًا أفضل، حتى قال أحد الفلاسفة: إن عظمة أيِّ أمة من طول مرحلة طفولة أولادها، وهذا القول صحيح ودقيق.

الـذي يحدث الآن هـو اختزال طفولة الأطفال على كل الأصعدة، فالغربيون يعانون اليوم من فقد الأطفال لبراءتهم في وقت مبكر من خلال ما يرونه في الأفلام الماجنة وعلى شاشات التلفاز وفـي الإنترنت، وصـاروا يعانون على نحو واضح من ظاهرة (حمل المراهـقات) وإدمان المراهقين

والمراهقات للمخدرات، كما أن احترام الكبير والتشوق إلى الاستفادة منه، ينخفض على نحو مستمر، ويفقد الأطفال طفولتهم عندنا عن طريق إخراجهم من المدارس وهم ما زالوا في العقد الثاني من أعمارهم، ويُزَجُّ بهم في أَتون حياة قاسية تحتاج إلى الكثير الكثير من المعرفة والتدريب، وقد بدأ أبناؤنا في الشرق يعانون من التفسخ الأخلاقي تدريجيًّا كما يعاني أطفال الغرب، وهناك أرقام مخيفة في بعض الدول الإسلامية حول هذه المسألة!

قدْ تقولون ما المطلوب؟

المطلوب هو:

١ - تواصل أشد واهتمام أكبر من الأسر بتربية أبنائها، وعدم تركهم فريسة لرفاق السوء وللفضائيات والإنترنت.

٢ - الإنفاق بسخاء على تعليم الأولاد حتى ينالوا أعلى الشهادات ومن أفضل الجامعات، والتفكير في هذا الأمر قَبْلَ إنجابهم.

٣ - تكاتف اجتماعي ومؤسساتي على حماية الأطفال ونصحهم وتوجيههم ولا سيما أبناء الفقراء والأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة.

٤ - مطلوب من الفتيان والشباب ألا يستعجلوا الانخراط في سوق العمل، ويحاولوا الاستمرار في التعلم أطول فترة

ممكنة، حتى بعد التخرج والتوظف، عليهم أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم ما زالوا في أول الطريق.

إن الأطفال يشكِّلون اليوم نصف السكان وكل المستقبل، وإن العناية بهم على نحو استثنائي تشكل النافذة التي ننظر منها إلى الغد.

* * *

٣٦
العمل حياة

إننا مهما امتلكنا من أفكار عظيمة، ومهما كانت قدرتنا على التحليل والتنظير والنقد فائقة - فإن ذلك يظل هو المقدمة لعمل الأشياء التي ينبغي أن نعملها، وإذا لم نعمل ما يجب عمله، فإن ما لدينا من معرفةٍ يصبح مصدرًا لتنغيص الحياة و تقريع الذات.

الحياة أشبه بصندوق مغلق ومملوء بالأسرار، وليس له سوى مفتاح واحد، وذلك المفتاح هو الممارسة وخوض غمار الحياة. نحن اليوم في زمان باهظ التكاليف وكثير المتطلبات، والبطالة نوع من الموت المعنوي؛ ولهذا فإننا في أمس الحاجة إلى الاهتمام بأعمالنا ووظائفنا.

وفي إمكاني القول: إن من أكثر ما يؤثر في تفاصيل حياة المرء ومستقبله ومستقبل أسرته - أمرين: موضع سكناه ونوعية العمل الذي يكسب رزقه منه، ومن هنا فإن العمل حياة، وإن العمل الجيد حياة جيدة. كثيرون من شبابنا يحارون عند اختيار التخصص الذي يدرسون، ويتساءلون: هل له مستقبل في سوق العمل أو لا؟ وبعضهم يتساءل:

هل يتجه بعد الثانوية إلى العمل أو إلى إكمال دراسته؟

وهذه الحيرة دليل الشعور بالمسؤولية والشعور بأهمية القرار الذي سيتخذونه.

وأقول: إن على الواحد منا أن يخطط حياته وينظم شؤونه على أن يكون العمل الذي سيقضي فيه بقية عمره ليس عملًا عضليًّا، ينهك الجسد، ولا يحرض العقل على النمو، بل يخطط أن يكون عمله على صلة بالعلم والمعرفة والبحث والتطوير، فرأس المال العالمي الجديد يتمحور شيئًا فشيئًا حول هذا.

وعلى كل حال فإن المقاعد الأمامية في كل التخصصات والمهن والوظائف تظل شاغرة ليشغلها المبدعون والمتفوقون وستظل الأماكن الخلفية والوظائف التي لا تحتاج إلى تأهيل مكتظة ومزدحمة.

العمل نعمة وليس مجموعة مشاق، فإذا ظفر أحدنا بعمل جيد فليحافظ عليه وليحوله إلى مهنة، ثم إلى مهمة يومية يوليها كل عنايته وجهده. المهم دائمًا ليس مقدار المال الذي نحصل عليه ولا اسم الوظيفة التي نشغلها، ولكن أن يشعر الواحد منا وهو يعمل أنه يقوم بعمل عظيم ومثمر ومجدٍ. إن في قول اللَّه – تعالى – ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧] إشارة واضحة إلى أن كل الأعمال مهما كانت صغيرة فهي ذات قيمة، ويمكن للمرء أن يلمسها، ويتمتع بها.

ومن العجيب حقًّا أن الأعمال مهما كانت صغيرة لها نفس خصائص الأعمال الكبيرة؛ فهي:

- تساعدنا على اكتشاف أنفسنا ومواهبنا.
- تساعدنا على اكتشاف استجابات الأشياء وممانعاتها.
- تغير في البيئات وتجعل الحياة أسهل.
- تنقلنا من مرحلة التخطيط والتمني إلى مرحلة التنفيذ.
- تخلصنا من الفراغ.

ثمار العمل الصغير صغيرة وثمار العمل الكبير كبيرة، ولكل جهد مضاعف نتائج مضاعفة، هذه سنة اللَّه - تعالى - في الخلق. والمرء يصبح كبيرًا حين ينجز الأعمال الكبيرة، ويصبح أشبه بالأموات حين يعجز عن إنجاز الأشياء الصغيرة، أما الرواد فإن مهمتهم هي شق الطريق في الأماكن الوعرة ليمضي خلفهم الكبار والصغار.

* * *

٣٧

آفات الضعف



هذه الدنيا دار ابتلاء، وكل واحد منَّا مبتلى بالوضعية التي هو فيها من القوة والضعف، والغنى، والفقر، والصحة، والمرض.... لكن أود اليوم أن أتحدث إليكم عن بعض المشكلات التي يسببها (الضعف) لأصحابه، وذلك من أجل تنبيه الوعي إليها والحذر من سلوك سبيلها:

١ - مَدَحَتْ ابنةُ شعيب القوةَ التي رأَتْها لدى موسى عليه السلام حين قالت لأبيها: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. إن الأمانة تتصل بالديانة، والخلق، والالتزام، أمَّا القوة فتعني: قوة البدن وتعني: سداد التفكير، والقدرة على القيادة والمهارة في أداء الأعمال..... وقد قال ﷺ: « **المؤمن القوي خير وأحب إلى اللَّه من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير** »[1]. وهذا خطاب عام يشمل الرجال والنساء.

٢ - الفقر ضعف، والهِرَمُ ضعف، والمرض ضعف، والكسل ضعف، والجهل ضعف، والفوضى ضعف، والفُرْقة ضعف، والعَجَلة ضعف، وسرعة الغضب ضعف، وقِصَر

---

(١) رواه مسلم.

النفس في العمل ضعف، ولكل شكل من أشكال الضعف المشار إليها مشكلات، وأزمات خاصة نعاني منها في حياتنا.

٣ - الضعف يسبب لصاحبه الشعور بالذل، والهوان والحاجة، وبذلك يؤهل صاحبه لِأَن يُسْتغل أسوأ استغلاله ومع الاستغلال تبدأ سلسلة أحزان لا تكاد تنتهي.

٤ - نحن لا نعرف التأثير السيئ للضعف إلا إذا أَعْطَيناه بُعدًا عامًّا، تصوَّروا معي أن مصنعًا يعمل فيه عشرة آلاف عامل أعلن إفلاسه، وأغلق أبوابه، تخيلوا معي المآسي والحكايات السوداء التي سوف تترتب على ذلك من بطالة، وفقر، وطلاق، والعمل في مهن غير لائقة، وإخراج بعض الأولاد من المدرسة... والسبب: ضعفٌ في إدارة المصنع أو تمويله أو تسويق منتجاته.

٥ - بعض الصحف والقنوات ليس لديها إمكانات، ومِنْ ثَمَّ فإنها لا تستطيع تعيين مراسلين موثوقين، ولا تستطيع إنتاج برامج جيدة، فتعتمد على غيرها في كل ذلك، وتجدها متورطة في نشر أخبار غير صحيحة؛ لأنها لا تستطيع التأكد من صحتها، وهناك جرائد ومجلات كثيرة تأخذ مقالات من الإنترنت وتنشرها منسوبة إلى أصحابها، دون علمهم... إن الضعف هنا يشكل نوعًا من الخيانة للمهنة...

٦ - أسرة ضَعُفَ ترابطُها وانسجامُها،و فرَّقتْها الخلافاتُ، وفقدت الاستقرار... إن هذه الأسرة تعيش المشكلات،

وتتحول أيضًا إلى مشكل اجتماعي، أي تصبح عبئًا على الأهل والأصدقاء.

٧ - نحن لا نستطيع بناء أمة قوية من أشخاص ضعفاء، ولا أمة ناجحة من أشخاص فاشلين؛ ولهذا فالحديث عن قوة الأمة يبدأ فعلًا حين نشرع في تقوية الفرد.

* * *

٣٨

العربية بين فكي كماشة

العربية لغة القرآن ولغة الحضارة والتراث.. العربية هي اللغة الجميلة والشاعرة والأنيقة والثريّة تمر اليوم بمرحلةٍ عصيبة ومخيفة، حيث إنها باتت تئن حين وجدت نفسها بين فكَّيْ كماشة: الإنجليزية واللهجات العامية، الصفوة اتجهوا نحو الكتابة والحديث بالإنجليزية، والشباب والعامة باتوا يتحدثون في البرامج الإذاعية والتلفازية وعلى الإنترنت باللهجات العامية.

أمَّا العربية فإنها تقاوم وتتشبث بالحياة على أفواه بعض الغيورين عليها إلى أن تصحو الأمة، وتعود إليها من جديد.

كل الأمم تنظر إلى اللغة على أنها جزء من هُويتها الوطنية وجزء من كرامتها أيضًا، وقد قال أحد علماء الإسلام الأعاجم يومًا: واللَّه لأن أُذَمَّ بالعربية أحب إليَّ من أن أُمدَح بغيرها!

لا أريد أن نقف لتصوير حال العربية اليوم، فهو معروف، ولا أريد أن نقف لنبكي على الأطلال، فهذا ليس من شيم الرجال، لكن أريد أن ننظر إلى اللغات الأجنبية على أنها جيوش تغزو ثقافتنا وتُضعف صلتنا بكتاب ربنا ﷻ وسنة نبينا ﷺ. إن اللغة ليست أداة لتوصيل المعلومات؛ إنها

أداة للتوصيل وأداة للتفكير، وهي مضمون مكوَّن من قيم ومفاهيم أيضًا.

المطلوب منًّا جميعًا القيام بعشرات الألوف من المبادرات الشخصية والعامة من أجل إنعاش العربية ومدها بأسباب البقاء والمقاومة، وسأذكر بعض الأمثلة على أمل أن يكون لكل واحد منًّا مساهمة ولو صغير ة في حماية العربية:

١ - إذا كنت معلمًا فلا تتحدث بغير الفصحى، ولا تقبل أي سؤال أو مداخلة من طالب بغير الفصحى.

٢ - إذا كنت في مجلس مع أصحابك، فحرضهم على التحدث بالفصحى، وأحضر معك شرحًا لبعض المفردات الغامضة، واقرأ فيه مدة (٣) دقائق.

٣ - لا تسمح لأولادك أن يكتبوا رسائل جوال أو يكتبوا في محادثة على الإنترنت بغير الفصحى.

٤ - إذا كنت متخصصًا بالعربية فحاول ابتداع طرق لتعليمها على نحو سهل، ولتكن لك مساهمة في تقوية لغة طلابك وأبناء حيِّك وأقربائك وأصدقائك.

٥ - لا يصح أن نقيم ندوةً أو مؤتمرًا في أي بلد عربي، وتكون لغته الرسمية غير العربية من أجل عشرة أو عشرين من الباحثين الأجانب. في بلادنا نتحدث بلغتنا ونترجم لمن لا يعرفها. هذا هو الشعار الذي يجب أن يُرفع ويطبَّق.

٦ - اكتشف جمال العربية وتمتع بقراءتها من خلال قراءة ما كُتب بها من روائع المؤلفات.

٧ - افعل كما تفعل كل الشعوب التي تحترم نفسها: تتكلم لغة أجنبية أو أكثر، لكنها في الوقت نفسه تقوّي صلتها بلغتها الأم.

لا أريد أن أطيل فلدى إخواني من الغيْرة والألمعية ما يمكّنهم من فعل الكثير من أجل العربية. اللغة أمانة وضعها عندنا الجيل السابق لنوصلها إلى الجيل القادم، فليؤد الذي اؤتمن أمانته، وليتق اللّه ربه.

* * *

٣٩
السؤال المستمر

إن نعمة الفراغ من أجلِّ النعم التي أفاء اللَّه بها علينا، وإن كثيرًا من العظماء ما كان لهم أن يكونوا كذلك لولا أنهم وجدوا الوقت الذي أنجزوا فيه ما أنجزوه.

من المؤكد أن إدراك قيمة الوقت والاهتمام به منتجان حضاريَّان، ولهذا فإن التخلف الحضاريّ يُلقي على أعين الناس ما يشبه الغِشاء، فلا يعرفون قيمة الوقت، ولا يعرفون كيف يستثمرونه.

لن يكون صادقًا من يزعم أنه يستثمر أوقاته على نحو كامل، وبالأسلوب الأمثل؛ لأن ذلك يتطلب طاقةً روحيةً هائلةً، لا تتوفر في كل الأوقات، ومن هنا فإن مما يساعد على الاستفادة من أوقات الفراغ: أن يسأل الواحدُ منا نفسَه، كلما وَجَد أنه فارغ السؤالَ التالي: ما الشيء الذي في إمكاني الآن أن أعمله، لكنني لا أعمله؟

إن الجواب قد يتمثل في:

١ - ذكر للَّه - تعالى - والثناء عليه وفي التوبة والاستغفار والإنابة.

٢ - قراءة شيء من كتاب اللَّه - تعالى - أو مراجعة شيء من المحفوظ منه.

٣ - القراءة في موضوع مهم.

٤ - زيارة أحد الأرحام و السؤال عنه.

٥ - مساعدة أحد الأبناء في فهم بعض دروسه.

٦ - الاتصال للسؤال عن صحة مريض.

٧ - الخروج من المنزل لحضور إحدى المحاضرات المهمة.

٨ - التفكير في مشكلة من المشكلات الشخصية.

٩ - تقديم المشورة لمؤسسة خيرية.

إذا كان الواحد منا يجد صعوبة في الالتزام المطلق بما ذكرته، فليدرب نفسه على أن يفعل ذلك مرتين أو ثلاث مرات يوميًّا على الأقل، وسيلمس التغيرالكبير الذي سيطرأ على حياته.

* * *

٤٠

ما بين النقد الذاتي وجلد الذات



كثيرًا ما نختلف في مسألة استعراض السلبيات في تاريخنا وحياتنا اليومية، حيث تجد من يقول لك: إن هذا من جلد الذات، وإن السوء لم يبلغ إلى الحدّ الذي تتحدث عنه. وهنا ينبري شخصٌ آخر ليقول: هذا ليس من جلد الذات، بل هو شيءٌ قليل من النقد الذاتي، وإن أوضاعنا هي أسوأ من ذلك بكثير.

هل نستطيع يا ترى أن نؤسس لشيء من التمايز بين النقد الذاتي وجلد الذات؟

نحاول......

١ - النقد الذاتي شيء طبيعي ومطلوب لأننا نخطئ ونقصر، ولأننا حين ننظِّر ونخطط نفعل ذلك بطلاقة كاملة، لكن عند التنفيذ تبرز لنا محدودية الإمكانات والقوى المعاكسة وأشياء أخرى مما يجعل المفارقة بين التخطيط والتطبيق بارزةً للعيان.

٢ - لا نستطيع وضع حدٍّ فاصلٍ كاملٍ بين النقد الذاتي وجلد الذات؛ وذلك لسبب بسيط هو أننا لا نستطيع الاتفاق على تعريف أيّ واحد منهما.

٣ - الذي يجلد ذاته، يمارس النقد والتوبيخ مع اليأس من الصلاح والإصلاح، أمَّا الذي ينتقد فإنه يقوم بذلك في محاولة منه لاكتشاف طريق الإصلاح.

٤ - الذي ينقد ذاته لا يوجه النقد لها على نحو شامل، وإنما ينقد بعض التصرفات، والسلبيات، والسلوكيات مع إدراكه لما لديه من خيرٍ وإيجابية.

أمَّا الذي يجلد ذاته، فإنه يمارس نوعًا من الازدراء الشامل لها، فهو لا يرى إلا سيئاتها، وحين يذكر بعض حسناتها، يستخف بما ذكره.

٥ - إن الذي أدمن جلد ذاته يَغْلب على مَجَالِسِه الحديثُ عن العيوب والنقائص؛ ولهذا فعباراته مُحْبِطة ومشَبَعةٌ باليأس، أمَّا النقد الذاتي فهو عبارة عن تقويم للذات، كما يفعل الناقد حين ينقد نصًّا أدبيًّا، فإنه يُبرز ما فيه من صورٍ مشرقة، وما فيه من عيوب، ولهذا فإن مَجَالس النقد يتخللها المرح والتفاؤل والأريحية. نعم للنقد، ولا لجلد الذات. نعم للإقرار بالواقع، ولا لليأس. نعم لفهم الحاضر، ولا للوقوف عنده.

* * *

٤١

حسن المطلع

إن مسألة تربية الأبناء من المسائل المهمة، والشائكة في آنٍ واحد، مهمةٌ؛ لأن المربّي عبر جهده الخاص، وعبر البيئة التي يوفرها يقوم بصياغة شخصية الطفل؛ لأنه هو الذي يعلّمه ما يجوز وما لا يجوز، وما يليق وما لا يليق، وهو الذي يرشده؛ كي يتمكن من التمييز بين الآمن والخطر والعاجل والآجل والتربية مهمةٌ شائكة؛ لأننا - معاشر المربين - نحاول دمج شخصية الطفل في المجتمع، ونحاول جعله يحمل عقائده، وأفكاره، وتقاليده... مع الحفاظ على ذاتية الطفل وفرديته، وهي محاولة لا تكون أبدًا مكتملة؛ ولهذا فإن الواحد منَّا مهما ملك من المهارات التربوية، ومهما ملك من الصبر والمثابرة، فإنه لن يستغني عن دعاء اللَّه - تعالى - للأولاد بالصلاح والاستقامة.

الذي أودُّ أن أؤكد عليه هنا: هو أن السنوات الست الأُولى في شخصية الطفل هي سنوات التربية الحقيقية والسنة الثانية من عمره بمثابة ولادة ثانية له.

ومن هنا فإن علينا أن نُولِي الأبناء في مرحلة ما قبل المدرسة أكبر قدر ممكن من اهتمامنا وعنايتنا.

إن قمة الاهتمام في ذلك تتمثل في توفير منزل تسوده

السكينة والهدوء والاطمئنان، منزل يتفيَّأ جميعُ مَنْ بداخله ظلال الإيمان، ويتنفَّسون عَبَقَ التوحيد، منزل نظيف ومنظم يسوده الاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة، كما يسوده تبادل التعاطف والمراعاة.

إن من المؤسف - حقًّا - أن كثيرًا من الآباء والأمهات لا يهتمون بالأطفال الصغار كما ينبغي، فإذا كبروا وصاروا في العاشرة وما بعدها بدأت عواقب الإهمال تُقْلق الجميع، وبدأت الشكوى وطلب النجدة من المستشارين وأهل الخبرة، والمؤسف مرة أخرى أن هؤلاء يقولون لهم: قد تأخرتم، وكان من المفترض أن تسألوا عن أصول تربية أولادكم قبل أن يولدوا!

إن كثيرًا من الإنجازات الحضارية الكبرى مدين للهمة والاهتمام، وأعتقد أن اهتمامنا بتربية أولادنا ينبغي أن يدفعنا منذ البداية نحو نيْل قدر من الثقافة التربوية الجيدة حتى نُربي على بصيرة، ولا تختلط علينا الأمور.

* * *

٤٢
مشكلة التخوم

أخرج الشيخان عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: « **إن الحلال بيّن، وإن الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى اللَّه محارمه...** »[١].

لعلّي أقف في نور هذا الحديث الوقفات التالية:

١ - في أمور الدين والدنيا مسائل واضحة وضوح الشمس، ولا يدور حولها أي جدل، وهذه تشكِّل المرتكزات الأساسية لحياتنا على مستوى التنظير وعلى مستوى العمل، وهي بحمد اللَّه كثيرة جدًّا.

٢ - هناك أمور تقع على التخُوم بين المباح والممنوع والمقبول والمرفوض واللائق وغير اللائق، وهذه موجودة في كل مجالات الحياة، والاختلاف قد يعود إلى الفقهاء والمفتين. وقد يعود إلى غيرهم من أهل التخصصات الأخرى، وهذا واضح.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

السؤال الذي يطرح نفسه هو:

ما الموقف الرشيد من هذه المسائل البرزخية المشتبهة؟

لعل الجواب يكمن في الآتي:

١ - يجب أن نوقن أنه لأسباب كثيرة سيظل هناك ما نختلف فيه، وستنقضي هذه الحياة دون أن يُحسَم كثير منه.

٢ - حين يختلف أهل العلم في مسألة من المسائل فإن ترجيح قول من أقوالهم على قول آخر هو نوع من الاجتهاد، ولا يصح لمن لم يحط بالمسألة إحاطة جيدة، ولم يكن في أهلية الاجتهاد قريبًا من المختلفين أن يرجح قولًا على قول، وهذا ما يقع فيه كثيرٌ من شبابنا اليوم ممن يدخلون على المنتديات. إن الذي يحكم على جرّاحٍ جرّاحٌ مثله، وليس أحد المرضى، كذلك فإن الذي يحكم على براعة فقيهٍ فقيهٌ مثله، وليس طالبًا في الجامعة.

٣ - لا يصح اتِّهام المختلفين في نياتهم، فهذا أمر لا يعرفه إلا اللَّه - تعالى - وإن من غير الموضوعي ولا المقبول شرعًا الخوض في ذلك.

٤ - نحن كثيرًا ما نقف مواقف متناقضة، فإذا تحدث العالم بشيء متفقٍ عليه وواضحٍ مَلَلْنا منه، وقلنا: لم يأت بجديد، وإذا جاء بجديد استوحشنا منه إذا لم يوافق أمزجتنا ومعارفنا.

٥ - التقدم في العلوم وفي الحياة عامة لا يكون إلا من خلال الاشتغال بإضاءة الخلافيات، والاهتمام بالجزئيات. إننا حين نحسم الخلاف في أمرٍ نفتح الطريق أمام الناس كي يعملوا به، وإذا انتهينا إلى الحكم بحظره ومنعه، فإن الناس يبحثون عن طريق آخر لتحقيق حاجاتهم، وإذا وقع بعضهم في المحظور، عرفوا أنهم على خطأ، وربما تابوا وتراجعوا عنه.

٦ - الاشتغال بالمتفق عليه والواضح يتركز في تبليغه للناس، وتذكيرهم به، وعلى من يقوم بذلك تجنب المبالغة والإسفاف والابتذال.

٧ - على الصعيد العملي والتطبيقي فإن من علامة تقوَى المسلم وورعِه البعد عن مواقف الشُّبه والخلاف استبراءً للدِّين والعِرْض. وفي الصحيحين عن رسول اللَّه ﷺ: « **فمن ترك ما يشتبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك** »[1]، وقال ابن عمر - رضي اللَّه عنهما -: « إني لأحب أن أدع بيني وبين الحرام حاجزًا من الحلال ».

أسأل اللَّه أن يلهمنا وإياكم الرشد في الأمر كله.

* * *

---

(١) رواه البخاري.

٤٣
طيب المطعم

في زماننا هذا تغيرت وظيفة المال، فقد كان وسيلةً لقضاء الحاجات، وما زال كذلك لدى كثير من الأخيار، لكنه صار لدى أكثر الناس اليوم هدفًا مستقلًّا، يسعوْن إلى جمعِه بكل همة ونشاط وإن كانوا لا يعرفون ماذا يصنعون به، وهذا بسبب أنشطة العولمة التي تـركز على الاقتـصاد والمال، وتهمل ما سواهما.

وقد أدى هذا إلى اتساع طموحات الناس إلى أمور كثيرة، لا تساعدهم إمكاناتهم على بلوغها، وكانت العاقبة التخفف من القيود الشرعية، والأخلاقية في كسب الرزق، وتحقيق المصالح.

- شبابٌ لديهم ورعٌ وتقوَى وَجَدُوا أنفسهم في بيئة وفي عمل يحملهم حملًا على الكذب والغش والرشوة، فمنهم من ترك عمله، والتمس عملًا آخر، وهؤلاء الأبطال دائمًا قليلون.

- وهناك من يمضي من عالِم إلى عالِم يلتمس جوابًا لينًا على فتواه، فهو لا يستحل الحرام، ولا يَقوَى على ترك عمله، ويريد قولًا من فقيه يجد فيه إعذارًا لما يقوم به. وهذا الصنف من الناس كثير.

- أمَّا الصِّنف الثالث فهم أولئك الذين يرتعون في الشبهات والمحرمات دون وازع أو رادع، كما ترتع الجرذان في مياه المجاري، وهؤلاء تتفاوت نسبتهم من بلد إسلامي إلى آخر.

بعض هؤلاء يتصدَّقون ويَصِلُون أرحامَهم وقد يبنون المساجد ليكفِّروا عن جناياتهم، ويخففوا من الآثام التي ارتكبوها.

وأحب أن أشير هنا إلى الآتي:

١ - إن اللَّه - تعالى - أمر بأكل الطيبات فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] وإن الطيب هو الحلال، وإن الكسب غير المشروع حرام يأثم فاعله.

٢ - إن أكل الحرام يحول دون استجابة الدعاء، وفي هذا عقوبة شديدة، وأيُّ عقوبة أشد من أن يُعْرِضَ الخالق - ﷻ - عن عبده، فلا ينظر في رجاءاته وطلباته؟ ففي حديث أبي هريرة ؓ « أن النبي ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟! »[١].

---

(١) رواه مسلم.

٣ - بعض الناس يأكل الحرام، ويأخذ ما لا يحلُّ له، ثم يشعر بالحرج، ويرغب في إصلاح أمره، وهذا من توفيق اللَّه، ويجب عليه في هذه الحال أن يردَّ ما أخذ بغير حق إلى أهله، ولن يكون من الصواب اللجوء إلى الصدقة، وبناء المساجد تكفيرًا عن ذلك إذا استطاع ردَّ الحقَّ إلى أهله.

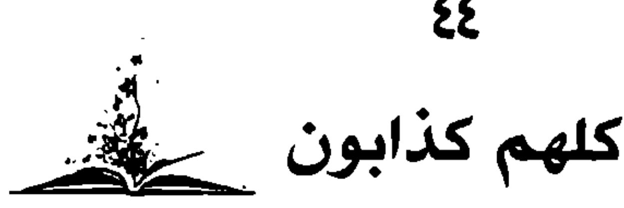
وروى عن أبي الدرداء ﷺ أنه جعل من أصاب مالًا من حرام فتصدَّق به مثل من أخذ ثوبًا من يتيم غصبًا، ثم كسا به أرملة.

٤ - يمكن الرجوع إلى كتاب (جامع العلوم والحكم) ففيه تفصيل كثير في هذه المسألة وذلك عند شرح المؤلف للحديث العاشر.

أسأل اللَّه لي ولكم طيب المطعم وصلاح العمل.

* * *

٤٤



كلهم كذابون

لدينا صنف من الناس، فيهم خير وذكاء وألمعية، لكن لديهم مشكلة عويصة، هي أنهم ماهرون جدًّا في رؤية سلبيات الآخرين ومعايبهم، وحين تثني على أحد الناس أمامهم، فإنك تسمع مباشرة من يقول لك: أعوذ باللَّه، فلان منافق، دجال، أو يقول: كذاب، لص، أو يقول: لو خالطته لَمَا قلتَ الذي قلت، ولَمَا مدحته.

ولعلي أقف مع هؤلاء الوقفات التالية:

١ - إن إدراك ما لدى الناس من سلبيات سهل، أما إدراك ما لديهم من خير ومن محاسن، فإنه يحتاج إلى مهارة وشيء من الإبداع، ولهذا فإن المطلوب هو أن نسابق أنفسنا في اكتشاف ما لدى الآخرين من فضائل ومحامد، فهذا أزكى وأنفع.

٢ - إن إدمان ذمِّ الناس يُولِّد لدى صاحبه الشعور باليأس من الآخرين، وهذا يؤدي فيما بعد إلى تعميم الأحكام على أبناء الجيل وأهل العصر، وهذا خاطئ وسيِّئ، وقد صح عنه ﷺ إذا قال الرجل: « **من قال هلك الناس، فهو أهلكهم** »[١]،

---

(١) رواه مسلم.

أي هو الذي نسبهم إلى الهلاك. وفي رواية : فهو أهلكُهم، أي هو أشدهم هلاكًا.

٣ - إن الإكثار من ذمِّ الناس كثيرًا ما يؤدي إلى شيئين رديئين:

الأول: هو حُسْنُ الظن بالنفس وتزكيتها، وهذا خطير.

الثاني: شعور المرء بأن ليس فيمن حوله مَنْ يمكن أن يقتدي به، ويقتبس من أخلاقه، وهذا يقلِّل الاندفاع الذاتي نحو التحلي بالفضائل.

٤ - لا يكون ذم الناس من غير ثمن دنيوي وأخروي، أمّا الدنيوي، فهو تعكر المزاج، وأمّا الأخروي، فهو جزاء الغيبة والمغتابين.

٥ - إن لدى الناس ما يكفيهم من الهموم والغموم ومن اليأس والإحباط، وإن علينا أن نُشيع البِشْر والبُشْرى، وننشر الصور والمواقف الأخلاقية والسلوكية الجميلة حتى نخفِّف من كرب المأزومين، وكل أولئك الذين يظنون أنه لم يبق في الدنيا سوى الرذائل والكروب.

* * *

٤٥
ذئبان آخران

عن كعب بن مالك ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسدَ لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه** »[1]؛ إذ إن الحرص الشديد على كنز المال، ونيل الشرف والوجاهة يجعل من المرء شخصًا دنيويًّا، ماديًّا، وجريئًا على الوقوع في محارم اللَّه، وهذا ظاهر وواضح.

وقد أحببتُ اليوم أن أشير إلى ذئبين ظلّا يفتكان باستقامة المسلم وسُموِّه وكرامته في معظم مراحل التاريخ، وهذان الذئبان هما: الجهل والجوع.

- إن الجهل كان هو السائد في معظم الأوساط الإسلامية بسبب عدم وجود ما يكفي من الأطر لتعليم الناس، وبسبب عدم وجود ارتباط واضح بين العلم والرزق، مما جعل كثيرًا من الناس لا يحرصون على طلب العلم. العلم هو النور الـذي يضيء كـل جوانب الحياة، وحين يختفي أو يخفت فإن الذي يملأ الفراغ حينئذ هو الظلام مصطحبًا معه الخوف والارتباك والخرافة والأساطير وضيق الأفق...

- أمَّا الجوع فإنه يستخرج أسوأ ما لدى الإنسان: العزلة

---

(١) رواه الترمذي.

والضعف والجمود والدناءة وقبول الذل والمهانة والنفاق...
إن الذي ذكَّرني بهذه المعاني ما رأيته من ثوار مصر الأحرار؛ حيث إن معظمهم متعلمون ومن أبناء الطبقة الوسطى، أي أنهم نجوْا من ضغوطات الحاجة الشديدة ومن لهو المترفين الذين يخافون من أي تغيير، ويُذهبون الكثير من الوقت في تنمية ثرواتهم والاستمتاع بها!

إن الجائع يقول: - كما قال عبد المطلب: أنا ربُّ الإبل وللبيت ربٌّ يحميه، أما الشباب المتعلم والناجح فإنهم يتطلعون إلى حماية البيت، ينظرون إلى النهوض ببلدهم على أنه مشروع شخصي لكل واحد منهم.

هذه الحقيقة لم تصل بعد إلى الحكومات التي سعت إلى تفادي ما حصل في مصر وتونس عن طريق طرح المشروعات وزيادة الرواتب، وأنا أجزم أن ذلك لن يجدي نفعًا، ولن يسكِّن هائجًا، وهو نوع من الهروب إلى الأمام أو هو تأجيل للإجابة على الأسئلة الأهم، إن الذي يقطع دابر الاحتجاج هو إشاعة العدل وتكافؤ الفرص ومكافحة الفساد وتوسيع مجال المشاركة السياسية...

وكلِّي أملٌ أن تتضح هذه الحقيقة قبل أن تعمَّ الفوضَى والاضطرابات بلاد المسلمين.

أسأل اللَّه أن يُلهمنا رشدنا، ويُصلح أحوالنا،

إنه سميع مجيب.

٤٦
علاقة وَهْمِيَّة



يقول أحد الدعاة: لقيني رجل في العقد الثامن من عمره، وقال لي: ورِثتُ من جَدّي مبلغًا كبيرًا من المال، لا أدري ماذا أصنع به، فقد كبُر أولادي، وشقُّوا طريقهم في الحياة، ولديّ منزل جيد، وكل أموري في حالة حسنة، فما الذي أصنعه بهذا المال؟

يقول الداعية: قلتُ له: قدِّمه لآخرتك: ابنِ مسجدًا، اكفل أيتامًا، أنشئ وقفًا... فما كان من الرجل إلا أن قال: وهل أنا مخبول حتى أفعل ما تقول؟!

قال الداعية: أنت قلتَها فأنت عاجز عن الانتفاع بمالك في أي شيء من أمور دنياك وآخرتك، ومن تكون هذه حاله، فماذا يكون؟!

السؤال الذي يطرح نفسه هو: إذا أخذنا معيار ذلك الداعية، وطبَّقناه على أوضاع الأثرياء الكبار في عالمنا الإسلامي، فكم ستكون نسبة الناجين - مع شديد الاعتذار - من الخبل؟

نحن نعرف أن الإنسان سوف يُسأل عن المال مرتين: مرة عن طريقة اكتسابه والحصول عليه، ومرة عن طريقة إنفاقه،

ومن هنا فإن الخسارة ستكون فادحة جدًّا بالنسبة إلى من كسب المال من حرام، ولم يستفد منه بأيّ وجه من وجوه الاستفادة. إن ملكيتنا للمال ليس لها أيّ معنى، إذا لم نستطع الاستفادة منه في دنيانا أو آخرتنا، وقد وضَّح ذلك نبيُّنا ﷺ بأبلغ عبارة حين قال: « **يقول ابن آدم مالي، مالي، وهل لكَ يا ابن آدم! من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لَبِستَ فأبليتَ، أو تصدقتَ فأمضيت؟!** »[1].

* * *

(١) رواه مسلم.

٤٧
المساق المحفِّز

كثيرًا ما يتصل بي شباب يملكون قدرًا حسنًا من الوعي والثقافة، والذي يجمع بينهم هو الشكوى من أنهم يعيشون في ظروف جيدة، ولديهم ذكاء وطموحات لعمل الكثير من الأشياء، لكنهم كلما نظروا إلى حصيلة ما أنجزوه وجدوه ضئيلًا أو لا يتناسب أبـدًا مـع إمكاناتهم... ولا أبالغ إذا قلت: إن هؤلاء الشباب يمثِّلون شريحة عريضة من شباب الأمة قد لا تقل عن (٢٠٪)، ومع أن هناك العديد من الأسباب الكامنة خلف هذه الظاهرة، والعديد من العلاجات لها، إلا أنني أود أن أشير إلى شيء قد يكون مهمًّا:

وهو أن يحاول الإنسان وضع نفسه في مساقٍ يحفزه على العمل، ويتحدَّاه من خلال حثه على تحرير الطاقات الكامنة، هذا المساق قد يتمثل في قطع العهد على النفس بالاستمرار في أداء عمل لا يقوم به كثير من الناس، وذلك مثل التصدق كل يوم بمبلغ من المال، أو الذهاب إلى منزل الوالدة لشرب فنجان من القهوة عندها، وتفقّد أحوالها، ومثل الاستيقاظ قبل الفجر بنصف ساعة، وقراءة ساعة يوميًّا في كتاب جيد...

إن الإنجاز يكون في الالتزام الصارم بالقيام بهذه الأمور وأشباهها، وهكذا كان نبينا ﷺ فقد كان عمله ديمة، وكان إذا

فاته ورده من الليل صلَّاه من النهار... الالتزام القويُّ بهذه الأمور يقضي على الفوضَى والعطالة في حياتنا ويجعلنا نشعر بالتأنق والسمو.

وقد يتمثل المساق المحفز في الانخراط في الدراسة في جامعة عالية المستوى، أو في وظيفة تتطلب قدرًا عاليًا من التأهيل، والأداء الرفيع، ولكَ أن تتخيل الآثار الثقافية الهائلة التي يتركها التزام بعض الكتَّاب بكتابة عمود يومي في جريدة أو مقال أسبوعي في مجلة مدة عشرين سنة، إن هذا الالتزام صعب لكنه ممكن؛ لأن هناك عشرات الألوف من الكُتَّاب الذين يفعلون ذلك عبر العالَم. صحبة أصحاب الهمم العالية، والطموحات الكبيرة، تساعد على الإنجاز العالي، وحضور بعض الدورات التي تحسِّن البصيرة بالشأن الشخصي، تساعد أيضًا.

المهم دائمًا أن ندرك أن حياتنا عبارة عن فرصة محدودة ولا تتكرر، وينبغي أن نستثمرها على أفضل وجه ممكن.

* * *

٤٨

لِمَ الخوف

إن اللَّه – تعالى – لم يُنزل داءً إلا أنزل له دواء، عَرَفَه مَن عرفه، وجهله من جهله، ومن الملاحظ بقوة في مجتمعاتنا الشرقية أن الناس لا يجدون أي مشكلة في الذهاب إلى الأطباء وشرح أحوالهم أمامهم، فإذا اقتضى الأمر الذهاب إلى طبيب نفسي، فإن كثيرين يتردَّدون ألف مرة قبل أن يفكروا في ذلك، وهذا بسبب الرضوخ للنظرة الاجتماعية الخاطئة لهذا الأمر، فالعامة يظنون أنه لا يذهب إلى الطبيب النفسي إلا من كان مجنونًا. أو كان على حافة الجنون!

في المجتمعات المتقدمة والمتعلمة ينظرون إلى الطبيب النفسي على أنه حليف للنجاح وصديق للمزاج، فالناس هناك يذهبون إليه لعلاج عِلَلِهم النفسية من غير أي حرج، فالإنسان يصاب بالمرض النفسي كما يصاب بالمرض الجسمي، واللَّه ﷻ يبتلي عباده بهذا وذاك، أما الطبقة العليا في المجتمعات الغربية فإنها تذهب إلى الطبيب النفسي حتى يساعدها على الاستقرار النفسي، وحتى يرشدها إلى زيادة كفاءتها في العمل والإنجاز.

حين يكون في البيت شخص مصاب باكتئاب شديد – مثلًا – فإنه يحوِّل حياة الأسرة كلها إلى جحيم، وسوف

نجد أنفسنا عاجزين عن إحصاء الأسر التي تفكَّكَت بسبب مرض نفسي لدى الزوج أو الزوجة، كما سنكون عاجزين عن حصر الصداقات والصلات التي انقطعت بسبب الأمراض النفسية.

قد آن الأوان لتغيير نظرتنا إلى هذا الموضوع على نحوٍ جذري، وقد يتطلب التغيير تكثيف البرامج التلفازية التي يتحدث فيها الناس عن مشكلاتهم بصريح أسمائهم حتى يدرك الخائفون والواهمون أن وجود المرض النفسي هو شيء طبيعي جدًّا، وحتى يدركوا أن العلاج قد يكون مطلوبًا من أجل الاستمرار في الوظيفة ومن أجل إسعاد الزوج أو الزوجة ومن أجل حماية الأطفال من مشكلات لا حصر لها. تعالوا لنطرح هذا الموضوع بقوة في المجالس والمنتديات، وتعالوا لنثير حوله الكثير من النقاشات، لعلنا نتمكن من كسر عرف اجتماعي خاطئ وضارٍّ ومزعج.

* * *

٤٩

سخاء الأنفس



في بعض الأحيان تُثير الأخبار في نفسي الكثير من الألم، وتثير في أحيان أخرى الخجل والشعور بالدونية.. من الأخبار التي أخجلتني خبر قيام (بيل جيتس) صاحب ميكروسوفت بدعوة أثرياء أمريكا إلى التبرع بنصف ثرواتهم لصالح العناصر الضعيفة في المجتمع، والمدهش تلك الاستجابة الواسعة لتلك الدعوة؛ حيث استجاب لدعوته أربعة وثلاثون مليارديرًا أميركيًّا، وبعضهم تجاوز الدعوة حين أبدى سخاء نادرًا، وذلك كما فعل (وورن بافيت)حين تبرع بـ (٩٩٪)من ثروته التي سلخ معظم حياته في جمعها، وأبقى لنفسه (١٪) فقط. بيل جينس هو الآخر أستاذ في السخاء، حيث إنه منذ سنوات أسس جمعيةً خيريةً، و تبرع لها بنحو (٢٢)مليار دولار!

السؤال الذي يطرح نفسه بقوة:

لماذا لا يتبرع أثرياء المسلمين - و هم كُثُر - بـ (١٠٪) من ثرواتهم و ليس بـ (٥٠ ٪)؟

الجواب هو:

لدى كل الأمم نصوص و حِكم ووصايا تحث على

التبرع والإحسان، لكن الذي يشكل الفارق بين أمة وأمة هو التربية، نَعَم التربية، إنها هي التي تحوِّل النصوص والوصايا والأفكار العظيمة إلى ثقافة، أي إلى عادة وسلوك، نحن لدينا الكثير من النصوص التي إن عملنا بها صار التبرع جزءًا من سلوكنا اليومي، انظر إلى قول اللَّه تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] و انظر إلى وصيته ﷺ لأبي هريرة: « **إذا طبخت، فأكثر المرق، وتعاهد جيرانك** »[١]، ووصيته للنساء: « **يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولوْ فِرْسِنَ شاة** »[٢]، أي: لا تحقرن أن تهدي المرأة لجارتها ولو رجل شاة. وانظر إلى قوله ﷺ: « **اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة** »[٣]. نصوص كثيرة تحثُّ الناس على البذل والصدقة ولو لم يكن لدى الواحد منهم سوى تمرات قليلة، ما دام هناك من ليس لديه أيّ تمرة.

لماذا نُلقي الكثير من الطعام في القمامة وفي المسلمين من حولنا من يشتهيه؟ وما الذي علينا أن نفعله؟

هذا ما علينا التفكير فيه.

* * *

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.



أ. د. عبد الكريم بكار.

يُعدُّ د. عبد الكريم بن محمد الحسن بكار أحد المؤلفين البارزين في مجالات التربية والفكر الإسلامي؛ حيث يسعى إلى تقديم طرح مؤصل ومجدد لمختلف القضايا ذات العلاقة بالحضارة الإسلامية، وقضايا النهضة والفكر والتربية، والعمل الدعوي.

وللدكتور بكار حوالي ثلاثين كتابًا في هذا المجال؛ لقي الكثير منها رواجًا واسعًا في مختلف دول العالم العربي، كما قدم د. بكار للمكتبة الصوتية أكثر من مائة ساعة صوتية مسجلة ومنشورة في مكتبات التسجيلات الصوتية.

ويحرص د. بكار على أن يقدم رؤاه الفكرية والتربوية من خلال مشاركته الواسعة في مختلف الصحف، والمجلات العربية المتخصصة والعامة؛ حيث يكتب د. بكار مقالات دورية في مجلة (البيان) اللندنية، ومجلة (الإسلام اليوم) الشهرية، ومجلة (مهارتي) الصادرة عن جامعة الملك سعود، وموقع (الإسلام اليوم)، كما يشارك باستمرار منذ أكثر من عشرين سنة بمقالاته ودراساته في عدد من المجلات الدورية الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك، للدكتور بكار نشاط مكثف على صعيد المحاضرات، والندوات الفكرية والثقافية والدورات التدريبية، وشارك في المئات منها في المملكة العربية السعودية والكويت وقطر والبحرين وتركيا ولبنان ومصر والأردن وماليزيا والسودان. كما يقدم حاليًّا برنامجًا أسبوعيًّا في قناة (دليل) الإسلامية باسم: « آفاق حضارية »، وبرنامجًا شهريًّا بقناة (المجد) باسم: « معالي »، وكان د. بكار قد قدم برنامجًا تلفزيونيًّا أسبوعيًّا في قناة (المجد) باسم: « دروب النهضة » لمدة عامين، وبرنامجًا إذاعيًّا أسبوعيًّا باسم: «بناء العقل في القرآن الكريم »، وبرنامجًا إذاعيًّا أسبوعيًّا آخر باسم: «العلاقات الإنسانية في المجتمع الإسلامي » استمرًا لمدة سنتين بإذاعة القرآن الكريم بالرياض؛ بالإضافة لاستضافته في برامج عديدة على قناة (الرسالة)، وقناة (اقرأ)، وقناة (الناس) والتلفزيون السعودي.

من جهة أخرى قاد د. عبد الكريم بكار مسيرة أكاديمية طويلة، دامت

(٢٦ عامًا) بدأت عام: (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم (السعودية)، لينتقل بعدها إلى جامعة الملك خالد في أبها في عام: (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، حصل خلالها على درجة الأستاذية في عام: (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، وليبقى فيها حتى استقال منها عام: (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)؛ ليتفرغ للتأليف والعمل الثقافي والفكري؛ حيث يقيم في العاصمة السعودية الرياض.

وتركزت المسيرة الأكاديمية للدكتور بكار على تدريس اللُّغويات، والتي شملت مواد المعاجم اللُّغوية، دلالة الألفاظ، الأصوات اللُّغوية، اللهجات العربية، القراءات القرآنية واللهجات، النحو، الصرف، المدارس النحوية، وتاريخ النحو. كما قدم د. بكار خلال تلك الفترة عددًا من الأبحاث والكتب المتخصصة والتعليمية في مجال اللُّغويات، وأسهم في النشاط الأكاديمي للجامعات التي عمل بها من خلال رئاسته لعدد كبير من اللِّجان العلمية، ورئاسته لقسم النحو والصرف وفقه اللغة لعدة سنوات، ومساهمته في وضع المناهج، والإشراف على البحوث، وتحكيم الدراسات العلمية.

حصل د. عبد الكريم بكار على البكالوريوس من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، وعلى الماجستير في عام: (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، والدكتوراه في عام: (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) من قسم أصول اللغة بالكلية نفسها بجامعة الأزهر، وكان عنوان رسالة الدكتوراه: « الأصوات واللهجات في قراءة الكسائي ».

ود. بكار عضو في المجلس التأسيسي للهيئة العالمية للإعلام الإسلامي التابعة لرابطة العالم الإسلامي (الرياض)، وعضو الهيئة الاستشارية بمجلة (الإسلام اليوم) (الرياض)، وعضو الهيئة التأسيسية لقناة (دليل)، وعضو في مجلس الأمناء لقناة (سنا) الفضائية (عمان).

وفيما يلي قائمة بالكتب والدراسات الأكاديمية المتخصصة:

١ - أصول توجيه القراءات ومذاهب النحويين فيها حتى نهاية القرن الرابع الهجري، بحث غير منشور، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٢ - ابن مجاهد شيخ قراء بغداد، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالقصيم، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٣ - تحقيق كتاب: « القواعد والإشارات في أصول القراءات »، للقاضي

أحمد بن عمر الحموي، دار القلم، دمشق، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

٤ - الصفوة من القواعد الإعرابية، دار القلم، دمشق، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٥ - تحقيق كتاب: « رد الانتقاد على الشافعي في اللغة » للإمام البيهقي، دار البخاري، بريدة، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٦ - أثر القراءات السبع في تطور التفكير اللغوي، دار القلم، دمشق، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

٧ - المهدوي ومنهجه في كتابه الموضح، دار القلم، دمشق، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٨ - ابن عباس مؤسس علوم العربية، دار السوادي، جدة، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٩ - دراسة لإنشاء مركز لتعليم اللغة العربية، كلية اللغة العربية بأبها، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

أمَّا الكتب التربوية والفكرية الصادرة للدكتور بكار؛ فمنها الكتب التالية:

١ - فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٢ - نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، دار المسلم، الرياض، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٣ - من أجل انطلاقة حضارية شاملة، دار المسلم، الرياض، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٤ - مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار المسلم، الرياض، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٥ - مدخل إلى التنمية المتكاملة، دار المسلم، الرياض، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٦ - من أجل شباب جديد، بحث منشور في وقائع المؤتمر السنوي للندوة العالمية للشباب الإسلامي، عمَّان، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

٧ - حول التربية والتعليم، دار المسلم، الرياض، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٨ - العولمة، دار الأعلام، عمَّان، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٩ - القراءة المثمرة، دار القلم، دمشق، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

١٠ - العيش في الزمان الصعب، دار القلم، دمشق، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

رقم الإيداع ٤٧٢٩/ ٢٠١٢

الترقيم الدولي I. S. B. N 9 - 029 - 214 - 977 - 978

الكِتَابُ فِي سُطُورٍ

قد حرصتُ خلال العامين الماضيين على إرسال رسالة أسبوعية إلى المشتركين في القائمة البريدية لموقِعي الشخصي، وقد كان بعضهم يقومون - مشكورين - بنشر تلك الرسالة على (الإنترنت) وقد استُقبلت تلك الرسائل استقبالًا حسنًا من لدن كثير من القُرَّاء، وأعتقد أن بساطة أسلوبها هو السبب الرئيسي وراء ذلك، واللَّـه - تعالى - صاحب الفضل في كل ما أصبْتُ من خير ونجاح.

ومن لطيف صنع اللَّـه - تعالى - أنني خلال كتابة هذه الرسائل كنت أشعر بتدفق فكري لا أشعر به في كثير من كتاباتي الأخرى إلى درجة يمكن معها القول: إن كل رسالة منها - تقريبًا - تمت كتابتها في جلسة واحدة وبسرعة غير معتادة بالنسبة إليَّ، ومن الواضح أنني حاولت أن أكون قريبًا من قرائي الأعزّاء إلى أبعد حد ممكن؛ ولهذا فإنك تجد أن كثيرًا من هذه الرسائل كانت في الحقيقة عبارة عن تعليق منهجي على شيء رأيته أو سمعته، أو شعرت بمعاناة الناس منه، وهذا يشكل المستوى الثالث في معالجاتي الفكرية والثقافية.

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)
www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

ISBN: 978-977-214-029-9







www.ibtesama.com